ديوان السليمانيات

(مجموعة شعرية)

أهكذا يُعامَلُ الشقيقُ يا هؤلاء؟!

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!

(القيمُ والمبادئُ والأخلاقُ لا تُشترى ، وإلا لاشتراها الأراذلُ والوضيعون!
وهذا شقيق بذل أقصى ما يستطيع في خدمة أشقائه ، كأنه خلق ليُعطي لا ليَأخذ ، واكتشفَ أنهم أوباشٌ أراذلُ أنانيون! كأنهم خلقوا ليَأخذوا لا ليُعطوا!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

طُعِنْتُ أيا مُقلتي في الصديقُ

وعانيتُ يا عينُ غدر الرفيقْ ، وأحنى إبائي تخلي الشقيقْ

فلم ألقَ حتى سراب الرحم ، ولم ألقَ حتى بُخار الإخاءْ

يُحاربني اليوم بعضُ دمي ، ويَحرق قلبي الشقيقُ الغَدورْ

يُحاسبني أنني مُسْلم ، ويَضرب في الأرض ضربَ البعيرْ

ويَعْتَدُّ بالمال دون حَيا

ولستَ شقيقي كما تدعي ، لأن شقيقي التقيُّ البصيرْ

شقيقي الذي يعرف الحق ، يحيا لهُ ، يُضحّي لهُ ، يموتُ لهُ

شقيقي الذي لا يخاف العِدا

شقيقي الذي درهمي درهمُهْ ، ودينارُه في يميني إذا رُمْتُهُ

شقيقي الذي عِلمُه بالعقيدة نورٌ لهُ

شقيقي الذي إنْ بُليتُ أتاني كمثل النسيمْ

شقيقي الذي يبتغي رفعتي بين كل الورى

وخيبتَ ظني ، وما كنتَ قط كما قد ذكرتْ

فأنتَ على الغير ظل ظليل ، ولكن عليَّ كمثل الحَرورْ

وتزعم أن الذي بيننا يزولُ يزولُ كأنْ لم يكنْ

تريد الذي ما حلمتُ به ، وتُنْشِدُ بيتًا بأقصى النجومْ

لأن الدعيَّ بأحوال قلبيَ ليس الخبيرْ

ألا فالتمسْ في الخزايا شقيقًا سوايْ

ولا يخدعنَّكَ صمتي الطويلُ ، فإني حيالكَ في الله كلي غضبْ!

ولستُ أراني حقودًا عليكَ ، ودنياكَ ليست بقلبي الشكورْ

لأني أتوق إلى جنة الخُلد عند الجليلْ

طعامي هناك وشربي إذنْ ، ومثلُك أعلافُه مِن شعيرْ

ولا أقبلُ اليومَ منكَ التزلفَ إني كريمْ

ومرحى بكَ اليومَ إما أخًا مسْلمًا ، وإما شقيقًا يُراعي الرحمْ

ولا مرحبًا بالدعيِّ الأثيمْ

ومَن هو للمجرمين الظهيرْ

لأن الجبانَ الخذولَ مَعيبٌ ، يَبيعُ الشقيقَ ، يَخون العشيرْ

فلا تفتكرْ لحْظة بالإخاء الوشيكْ

فأمُّكَ ما ولدتْني لمثلكَ يا أفعوانُ إذا جُعتَ بَعضَ فَطِيرْ

وزدْ في الدراهيم حتى تزورَ القُبورْ

فلا خيرَ فيكَ ، لأنْكَ لم تستفد مِن كلام البشيرِ النذيرْ

لفظتُكَ بين الأنام سرابًا يزولْ

الثعبان

(لعب ذلك الصِل لعبة على أوراق عقد شراء. ثم امتدت اللعبة للواقع. إذ أثبتت له الملكية التي هي لغيره. ولدغ لدغته! أما المظلوم فاشتكى إلى الله. يقول الدكتور مصطفى محمود: (والكون كله جدول من القوانين المنضبطة الصريحة التي لا غش فيها ولا خداع. سوف يرتفع صوت ليقول: وما رأيك فيما نحن فيه من الغش والخداع والحروب والمظالم وقتل بعضنا البعض بغياً وعدوانا؟ أين النظام هنا؟ وسوف أقول له: هذا شيء آخر. فإن ما يحدث بيننا نحن دولة بني آدم يحدث لأن الله أخلفنا في الأرض وأقامنا ملوكاً نحكم وأعطانا الحرية. وعرض علينا الأمانة فقبلناها. وكان معنى إعطائنا الحرية أن تصبح لنا إمكانية الخطأ والصواب. وكان كل ما نرى حولنا في دنيانا البشرية نتيجة هذه الحرية التي أسأنا استعمالها).هـ. فكتبتُ منددا على البحر المجتث هذه القصيدة مبيناً ما قام به ذلك الصل الآدمي الحقير في غفلةٍ مني وغفوةٍ ولا شك. والله تعالى المستعان عليه وعلى أعوانه!)

فجعـــتَ ـ يـــا صِـــلُ ـ قلبـــي   وزدت ـ بالغـــــــدر ـ خطبـــــــي

وحُـــزت مـــالي اغتصـــاباً   لكــــــي تُعِـــــدّ لحربـــــي

وكنـــــت دلســـــت عقـــــداً   بكــــــل كيـــــدٍ ونهـــــب

وقـــــد أعانـــــك قـــــومٌ   أراهـــــمُ شـــــرّ حِـــــزب

وجئـــــتُ أطلـــــبُ حقـــــي   معـــــي رفـــــاقي وصـــــحبي

فـــــأنكرَ الصـــــلُ فـــــوراً   فقلـــــتُ: يـــــا رب حســـــبي

وقـــــال صـــــحبي: تـــــذكّرْ   وأنـــــت صـــــاحبُ لـــــب

فقـــــال: هـــــذا كـــــذوبٌ   فقلـــــتُ: أثبـــــتُّ كـــــذبي؟

وســـــقتُ أهـــــدى دليـــــل   مفنـــــداً كـــــل رَيـــــب

وشـــــارحاً كـــــل لـــــبْس   وفاضـــــحاً كـــــل عَيـــــب

فقـــــال: هـــــل مـــــن عقـــــودٍ   صـــــحيحةٍ دون لِغْـــــب؟

فقلت: إلا يميني   فساق لعني وسَبي

فقال: ما لك شيءٌ   فقلتُ: كلا ، وربّي

فقال: دعني وشأني   فقلتُ: مولايَ حَسبي!

فأين حق الجوار؟

(عندما تفتقد الأخوة بين شقيقين ، نسأل فنقول: فأين حق الجوار؟ ولا جواب. لأن الشعار هو(عشْ نذلاً تعش أو تمت مستوراً) ، وأيضا (نفسي ومِن ورائي الطوفان). وقد سرق هذا الشقيق الغادر المفتقد لمعاني الأخوة كُتب شقيقه وأسفارَ عِلمه وشرائطه المسجلة علانية بلا حياء. فليته إذ افتقد الأخوة حافظ على الجوار العام. وصف الله المؤمنين بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ). يقول القرطبي: (والأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال. والأمانة تشمل كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً والأمانة هي أداء الحقوق ، والمحافظة عليها. والأمانة خلق جليل من أخلاق الإسلام! فهي فريضة حملها الإنسان ، بينما أبتِ السماوات والأرض والجبال أن يحملنها).هـ.)

كـــم تلظـــت فـــي بلاويهـــا ضـــمائرْ! واســـــتكانت لمآســـــيها ســـــرائرْ!

وافتـــرى فـــي ظلمـــه نـــذلٌ خســـيسٌ أضـــرم الكيـــدَ ، وضـــحّى بالأواصـــر

وامتـــرى الإفـــكَ يغطـــي مـــا تبـــدّى مِـــن عَـــوار لـــم يكـــن إلا بـــوادر

حـــاز أســـفاري، كـــأني زرتُ قبـــري ومضـــى بالســـطو يزهـــو ويفـــاخر

يخـــدعُ النـــاسَ لكـــي يلقـــى التحايـــا أو يقـــال: عـــالمٌ جـــمّ المـــآثر

أنـــتَ ـ والله ـ جهـــولٌ لا تســـاوي مِدحـــة غبـــراءَ يُلقيهـــا مُقـــامر

فلمـــــاذا تلـــــبسُ العِلـــــم رداءً؟ يـــا ســـفيها ، هـــل غـــدا العِلـــمُ مظـــاهر؟

أنـــت عبـــد للـــدنايا والأغـــاني لـــم تكـــن طالـــب علـــم أو مُنـــاظِر

أنـــت للأزيـــاء عبـــدٌ مســـتكينٌ أنـــت بالعِصـــيان للمـــولى تجـــاهر

يـــا أبـــا جهـــل أعِـــدْ أســـفار علمـــي وتفـــرَّغ لأغـــاني كـــل ســـامر

إن للعلـــم رجـــالاً لســـتَ مـــنهم طهُـــروا سَـــمتاً وهَـــدياً وســـرائر

ولـــــه ضـــــحَّوْا بأوقـــــاتٍ ومـــــال وديـــــار ، بـــــل ودُور وعشـــــائر

أنـــت لـــم تنفـــقْ علـــى العلـــم ريـــالاً إنمـــا تســـرقُ أســـفار المســـافر

لـــو ترانـــي لســـتُ للســـاطِي شَـــقيقاً أيـــن حـــقُ الجـــار للجـــار المجـــاور؟

اختلاف

(شقيقان الأولُ شهمٌ لم يبخلْ على شقيقه قط. بل أقال عثرته ، منفقاً من وقته وجهده وماله الكثير. والثاني نذلٌ جبٌ خسيسٌ جبان. دينارُه أحب إليه من روحه فضلاً عن شقيقه. وفي الحديث: "تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميلة ، تعس عبد الخميصة ، إن أعطيَ رضي وإن منع غضب ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش". قال الشيخ الحسن الددو: (وهذا تحذير من الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته من الإيغال في هذه الدنيا وأن تكون أكبر همهم ، فبيَّن أن العبد الذي يجمع الدنانير والدراهم ويرضى بذلك وهو أكبر همه ويصرف وقته وطاقته وجهده وشبابه في جمع الدراهم والدنانير أو جمع الخمائل والخمائص - وهي أنواع الملابس- أو ما يشبه ذلك من ضروب هذه الدنيا ومما فيها ، فإنه قد تعس).هـ. فالدنيا في حقيقتها عرض زائل ، والآخرة هي دار الحق! والأصل أن تكون المنفعة متبادلة وليست من طرف واحد! أنشدتُ في هذا قصيدتي من السريع!)

يـــا فاقـــدَ الإحســـاس والشـــيمِ ... يـــا ظلمـــة فـــي عـــالم القِـــيمِ

يـــا صـــخرة - فـــي الـــدرب - جاثمـــة ... يـــا مـــوغلاً فـــي أخبـــثِ الـــتهم

يـــا عابـــدَ الـــدينار يجمعُـــه ... فـــي مرتـــع مســـتقذر وخِـــم

يختـــالُ – بـــالأموال - مزدهيـــاً ... ويصـــولُ بـــالأرزاق والقِسَـــم

هـــل تـــذكرُ الإنفـــاق أعضـــلني ... وسَـــعيتُ فـــي الأخطـــار والقحَـــم؟

والبيـــت قـــد قسّـــمته طمعـــاً ... فـــي أن تـــرى يـــا مغرضـــاً كرمـــي

قـــد كنـــتُ أرجـــو أن تشـــاركني ... عِـــبءَ الهُـــدى فـــي عـــالم الظلـــم

لله أخلصـــتُ العطـــا ، فأنـــا ... مـــا كنـــتُ - فـــي بـــذلي - بمُهـــتم

إن اختلافـــاً بيننـــا ســـطعتْ ... أنـــوارُه فـــي كـــل مُصـــطدم

نـــذلاً تعـــيش العمـــرَ محتقـــراً ... وأراك فينـــا غيـــرَ ذي شـــيم

وإذا لقيـــــــــت اللهَ دون هُـــــــــدى تلقـــــاه حقـــــاً غيـــــرَ محتـــــرم

أقصـــــرْ ، وخـــــذ درســـــاً ومزدجَـــــراً هـــــذا أوانُ الـــــوعظ والنـــــدم

حقـــــي مَهـــــيضٌ بـــــين أظهـــــركم يـــــا مـــــن ســـــحقتم رونـــــقَ الـــــرَحم

أشـــــهرتمُ ســـــيفاً يُجنـــــدلني مـــــا جُنحتـــــي؟ يـــــا قـــــوم مـــــا جُرُمـــــي؟

أخوتان

(دعا ذلك الشقيق أحد أشقائه كان يأنس فيه رشداً ، لأن يكون منه كما كان أصغر القطبين من أكبرهما. رحم الله سيداً وحفظ محمداً. فلقد مثلاً ثنائياً قلّ أن يوجد له نظير في التاريخ. فمن رسم من معالم الطريق وبسط ظلاله وتشخيص مشكلاته وتقعيد خصائصه ومقوماته والتفاؤل بأن المستقبل له ، إلى كشف الجاهلية التي تحاربه وبيان الواقع المعاصر وخوض معركة التقاليد ورسم دروب أصول التربية التوحيدية والعقدية وأيضا تصحيح المفاهيم وإعادة كتابة التاريخ الإسلامي والاقتباس من أنوار النبي – صلى الله عليه وسلم - ألا إنه كلام ثنائي لم يتكرر حسب علمي في التاريخ. إلا أن الشقيق الآخر الذي دعاه شقيقه ليكون كذلك أدرك بذكائه وعورة الطريق ومحنة سلوكه وعذاباته والبلاءات المترتبة عليه. فاختار لنفسه السلامة ، وآثر الجاهلية فطريقها من وجهة نظره آمنٌ وسالم. وتبرّأ من راية التوحيد ومِن حاملها. ولم يُبق حتى على الإخوة. ورفع راية الجاهلية وفضل أفكارها. فآثر ما يفنى على ما يبقى. ولم يكن من أخيه قط بمنزلة أحد القطبين من الآخر. فظل الداعي على ما هو عليه! وظل المدعو على ما هو عليه. فهما إذن اخوتان الأولى أخوة إيمان ورحلة جهاد طريقها مفروش بالدم والكوارث من كل صوب ، ونهايتها إذا أخلص صاحبها لله هي الجنة. وأما الثانية فطريقها مفروش بمتاع الدنيا والتمكين فيها على حساب العقيدة. ونهايتها إذا خولفت أوامر الله والمعلوم منها من الضرورة ليس إلا النار. إنهما أخوتان متباينتان لا سبيل إلى التقريب بينهما. وليعلمن ذلك الشقيق الجاهلي المتنازل عن الحق نبأ ما قد فعل بعد حين. إن هذه الحياة الدنيا قصيرة. فما أجمل أن يترك الإنسان بعده الذكرى الحلوة التي عمادها الإيمان! قال مجاهد: صحبت ابن عمر أُريد أن أخدمه فكان هو الذي يخدمني. وقام عمر بن عبد العزيز رحمه الله يطلب النصيحة من عمرو بن مهاجر وقال له: (يا عمرو إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلابيبي ثم هزني ثم قل لي: ماذا تصنع). تاريخ بغداد. وقال عبد الله بن الإمام أحمد: (لما أُطلق أبي من المحنة خشي أن يجئ إليه إسحاق بن راهوية فرحل أبي إليه فلما بلغ الري دخل إلى مسجد فجاء مطر كأفواه القرب فلما كانت العتمة قالوا له: اخرُج من المسجد فإنا نريد أن نغلقه فقال لهم: هذا مسجد الله وأنا عبد الله فقيل له: أيهما أحب أن تخرُج أو نجُر رجلك! قال أحمد: فقلت: سلاماً! فخرجت من المسجد والمطر والرعد والبرق فلا أدري أين أضع رجلي ولا أين أتوجه فإذا رجل قد خرج من داره فقال لي: يا هذا أين تمر في هذا الوقت؟ فقلت لا أدري أين أمر فقال لي: ادخل فأدخلني داراً ونزع ثيابي وأعطاني ثياباً جافة وتطهرت للصلاة فدخلت إلى بيت فيه كانون

فحم ولبود ومائدة منصوبة فقيل لي: كل فأكلت معهم. فقال لي: من أين أتيت؟ فقلت: من بغداد. فقال لي: أتعرف رجلاً يقال له أحمد بن حنبل؟ فقلت أنا أحمد بن حنبل. فقال لي: وأنا إسحاق بن راهويه). المناقب لابن الجوزي. وعن تحريم تحقير المسلمين قال تاج الدين السُبكي: (كنت جالساً بدهليز دارنا فأقبل كلب فقلت: اخسأ كلبٌ ابن كلب! فزجرني والدي من داخل البيت فقلت: أليس هو كلب ابن كلب؟ قال: شرط الجواز عدم قصد التحقير فقلت: هذه فائدة). وورد عن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: (ما حاججت أحداً إلا وتمنيت أن يكون الحق على لسانه). وعن عبد الملك أو قيس بن عبد الملك قال: قام عمر بن عبد العزيز إلى قائلته ، وعرض له رجل بيده طومار (صحيفة مطوية) ، فظن القوم أنه يريد أمير المؤمنين فخاف أن يُحبس دونه ، فرماه بالطومار ، فالتفت عمر فوقع في وجهه فشجه ، قال: فنظرت إلى الدماء تسيل على وجهه وهو قائم في الشمس ، فلم يبرح حتى قرأ الطومار ، وأمر بحاجته وخلى سبيله. وكان ابن عباس كأبي بكر وكثير من الصحابة يرى أن الجد في الميراث يُسقط جميع الإخوة كالأب ، وكان زيد كعلي وابن مسعود يرى بتوريثهم مع الجد ، فقال ابن عباس يوماً: (ألا يتقي الله زيد يجعل الابن ابناً ولا يجعل أب الأب أباً؟) ثم قال: (وددت إن الذين يخالفونني يجتمعون بي عند الركن ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)! وذلك لثقته بصحة اجتهاده. وبعد وقت رأى أبن عباس زيد بن ثابت راكباً دابة فأخذ بركابه يقوده فقال له زيد: تنح يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: هكذا أُمِرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا! فقال زيد: أرني يدك فأخرج ابن عباس يده فقبلها زيد وقال: هكذا أُمِرنا أن نفعل بأهل بيت رسولنا صلى الله عليه وسلم! ولما مات زيد قال ابن عباس: هكذا يذهب العِلم ، لقد دُفن اليوم علمٌ كثير. وعند البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه وهو يصف كرم جعفر بن ابي طالب لإخوانه فقال: (كان خير الناس للمساكين فكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته ، حتى إنه ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلعق ما فيها). وفي طبقات ابن سعد عن حُسن عشرة ابن عمر رضي الله عنهما عن مجاهد قال: (كنت أُسافر مع عبد الله بن عمر ، فلم يكن يطيق شيئاً من العمل أعمله ولا يكله إلينا ، ولقد رأيته يطأ على ذراع ناقتي حتى أركبها). وفي الآداب الشرعية قال عبد الله بن عثمان شيخ البخاري: (ما سألني أحدٌ حاجة إلاَّ قمت بها بنفسي ، فإن تم وإلا قمتُ بها بمالي ، فإن تم وإلا استعنتُ له بالإخوان ، فإن تم وإلا استعنتُ له بالسلطان). وقال محمد بن مناذر كنت أمشي مع الخليل بن أحمد فانقطع شسعي ، فخلع نعله فقلت: ما تصنع؟ قال: أواسيك في الحفاء. وكان الحسن البصري رحمه الله إذا افتقد الرجل من إخوانه أتاه فسلم عليه وسأله عن حاله ، فإذا خرج من عنده دعا الخادمة فأعطاها صرة فيها دراهم فقال: ادفعيها لمولاتك فقولي استعمليها ولا تُخبري بها سيدك). وقال مسور بن الورّاق:

ما كنت لأقول لرجل إني أُحبك في الله تعالى فأمنعه شيئاً من الدنيا. وجاءت يزيد بن عبد الملك بن مروان غلة من عُمّاله فجعل يصرها ويبعث بها إلى إخوانه ويقول: إني أستحيي من الله عز وجل أن أسال الجنة لأخٍ من إخواني وأبخل عنه بدينار أو درهم. وكان الحسن إذا فقد الرجل من إخوانه أتى منزله ، فإن كان غائباً وصل أهله وعياله ، وإن كان شاهداً سأله عن أمره وحاله ، ثم دعا بعض ولده من الأصاغر فأعطاهم الدراهم ووهب لهم وقال: أبا فلان إن الصبيان يفرحون بهذا. وكان بشر بن منصور إذا زاره الرجل من إخوانه قام معه حتى يأخذ بركابه. وكان طلحه بن مُصَرّف يأتي أُم عمارة بن عمير يبرها بالنفقة والكسوة والصلة ، وذلك بعد أن مات عمارة ببضع عشرة سنة. ولقي الحسن بعض إخوانه ، فلما أراد أن يفارقه خلع عمامته فألبسه وقال: إذا أتيت أهلك فبعها واستخدم ثمنها. وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية عن إيثار الإمام أحمد: قال يحيي بن هلال الوراق: (جئت إلى محمد بن عبد الله بن نمير فشكوت إليه ، فأخرج أربعة دراهم أو خمسة وقال: هذا نصف ما أملك! وجئت مرة إلى الإمام أحمد فأخرج إليّ أربعة دراهم وقال: هذا جميع ما أملك). وفي الأدب المفرد عن أُخُوّةِ أنس بن مالك رضي الله عنه أنه إذا أصبح دهن يده بدهنٍ طيب لمصافحة إخوانه). وعند الطبري في الكبير ورجاله رجال الصحيح عن سلامة صدر أبن عباس رضي الله عنهما: (أن أبي بريدة الأسلمي قال: شتم رجل ابن عباس فقال له: أتشتمني وفيَّ ثلاث خصال ، إني لا أتي على آيةٍ من كتاب الله إلا تمنيتُ أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم ، ولا سمعتُ بقاضٍ عادل إلا فرحت ودعوت له وليس لي عنده قضية ، ولا سمعت بالغيث في بلد إلا حمدت الله وفرحت وليس لي فيها ناقة ولا شاة). وفي السلسلة الصحيحة عن أبي سليمان الداراني أنه قال: (إني لأضع اللقمة في فم أخٍ من إخواني فأجد طعمها في حلقي). وفي مناقب الإمام أحمد أن أبا بكر المروزي قال: قال لي أبو عبد الله وذكر رجلاً فقيراً فقال لي: أذهب إليه وقل له: أي شيء تشتهي نعمل لك ، ودفع إليّ طيباً وقال لي: طيّبْه. ودخل علي بن الحسين زين العابدين على محمد بن أُسامة بن زيد يعوده ، فبكى ابن أُسامة فقال: ما يبكيك؟ قال: عليّ دينٌ! قال: وكم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار ، وفي رواية سبعة عشر ألف دينار. قال هي عليّ. وعن الحسن قال: إن كان الرجل ليخلف أخاه في أهله بعد موته أربعين سنة. وفي تاريخ بغداد: (إن فتح الموصلي جاء إلى صديق له يقال له عيسى النجار ، فلم يجده ، فقال للخادمة: أخرجي إليّ كيس أخي! فأخرجته ، ففتحه فأخذ منه درهمين! وجاء عيسى لمنزله فأخبرته الخادمة بأخذ الدرهمين فقال: إن كنتِ صادقة فأنت حُرة لوجه الله ، فنظر فإذا هي صادقة فأعتقتْ). وقال الإمام عبد الرحمن بن أبي ليلى: (ما ماريتُ أخي أبداً لأني إن ماريتهُ إما أن أُكذبه وإما أن أُغضبه). الآداب الشرعية. ويذكر الإمام أحمد عن ابن راهويه وكان يخالفه في أُمور فيقول: (لم يعبُر الجسر إلى خرسان

مثل إسحاق بن راهويه وإن كان يخالفنا في أشياء ، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً). وروى الخطيب بسنده عن عبد الله بن عبد الكريم قال: (سمعت أحمد بن حنبل وذكر عنده إبراهيم بن طهمان وكان متكئاً من علة فاستوى جالساً وقال: لا ينبغي أن يذكر الصالحون فيُتكئ). وروى الخطيب عن عبد الله بن الخطيب (أن الطيب إسماعيل أبا حمدون من القراء المشهورين كانت له صحيفة مكتوب فيها 300 من أصدقائه وكان يدعو لهم كل ليلة فتركهم ليلة فنام فقيل له في نومه: لِم لم تُسرج مصابيحك الليلة؟ فقعد فأسرج وأخذ الصحيفة فدعا لهم واحداً واحداً حتى فرغ). وقال ابن عباس رضي الله عنه: (ثلاثة لا أُكافئهم رجل يبدأني بالسلام ، ورجل وسع لي في المجلس ، ورجل اغبرت قدماه في المشي إليّ يريد السلام عليّ! أما الرابع: فلا يكافئه عني إلا الله! قيل من هو؟ قال: رجل نزل به أمرٌ فبات ليلته يفكر بمن ينزله ، ثم رآني أهلاً لحاجته فأنزلها بي). وشتم رجل الأحنف ، وجعل يتبعه حتى بلغ حيه ، فقال الأحنف: يا هذا إن بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره. وورد عن عطاء بن رباح أنه قال: (إن الشاب ليحدثني حديثاً فأستمع له كأني لم أسمعه وقد سمعته قبل أن تلده أمه). وفي تاريخ بغداد قال ابن مرار: (تكلم عبد الله بن عياش المنتوف بكلام أراد به إساءة ابن عمه عمر بن ذر ، فقام عمر فدخل منزله ، فندم ابن عياش فأتى عمر فقال: أيدخل الظالم؟ فقال: نعم ، مغفور له والله ما كافأت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه). وكان الشافعي حين يحدث عن أحمد لا يسميه تكريماً له بل يقول: (حدثنا الثقة من أصحابنا أو أخبرنا الثقة من أصحابنا). وروى أبو نعيم عن أبي وائل الراسبي قال: (أُتي ابن عمر بعشرة آلاف ، ففرقها وأصبح يطلب لراحلته علفاً بدرهم نسيئة). وأخرج أبو نعيم في الحِلية عن نافع قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما ليُفرق في المجلس ثلاثين ألفاً ثم يأتي عليه شهر فما يأكل مزعة لحم). ودخل عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة في الظلمة ، فمر برجل نائم فعثر به ، فرفع رأسه فقال: أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا؟ فهمّ الحرس فقال عمر: مه إنما سألني أمجنون أنت؟ فقلت: لا. وعن عبيد الله بن أبي الوسيم الجمال قال: أتينا عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله نسأله في دين على رجل من أصحابنا ، فأمر بالموائد فنُصبت ، ثم قال لا حتى تُصيب من طعامنا ، فيجب علينا حقكم وذمامكم قال: فأصبنا من طعامه فأمر لنا بعشرة آلاف درهم في قضاء دين وخمسة آلاف درهم نفقة لعياله (مكارم الأخلاق). وتضع الكاتبة الفاضلة سهير الخالدي إشراقات عن الأخوة الحقيقية فتقول ما نصه: (إن أعظم ما أكّد عليه الدين الإسلامي هو التأخي والأخوة والمحبة والمودة بين الناس ، على اختلاف طبقاتهم وقومياتهم ومذاهبهم ، بل حتى على اختلاف دياناتهم السماوية ، فقط أكّد الإسلام على الأخوة والصداقة الحقيقية وجعل لها منزلة خاصة ، وأن الأخوة والصداقة في الله والتي تبنى على أسس

صحيحة وحقيقية ، كما أنها لو ارتبطت بعقيدة الدين يكون دورها أكبر وأفضل وذلك عبر القران الكريم (إنما المؤمنون أخوة). أي أخوة في الدين والعقيدة ، ولا ننسى ما حصل في زمن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بعد هجرته الى المدينة المنورة حيث إنه (صلى الله عليه وسلم) جمع بين المهاجرين والأنصار وجعل بينهم رابط الأخوة الحقيقي والصداقة في الله ، ولذلك فإن التاريخ الإسلامي لا ينكر ذلك الموقف الذي وقفه أهل المدينة مع المهاجرين ومشاركتهم في العيش والسكن ، حتى إنه وصل بهم الأمر إلى تقسيم رغيف الخبر بينهم ، رغم تلك المعاناة والغربة والألم الذي تعرّض له المسلمون ، لكنهم بقوا متمسكين في أخوتهم في الله وأعطوا أجمل درس ترجمه التاريخ الإسلامي من خلال المُؤاخاة).هـ. وأنا أسأل: أين إخوة هذا الزمان وأخواته من هذه النماذج الفذة الفريدة؟ أم أنني وقعتُ عليها ونقلتها لهم من الخيال؟ أو طالعتها في (ألف ليلة وليلة)؟ إن الفرق بينهما شاسعٌ للغاية!)

أخوتـــان: فـــذي هُـــدىً وذي ضـــللُ واســألْ عــن الفــرق مَــن ســادوا ومَــن عقلــوا

أخوتـــان: فـــذي خيـــر ومَعدلـــة وتلـــك دَيـــدُنها الخســـرانُ والمَيَـــل

أخوتـــان: فـــذي ربـــي يُباركُهـــا وتلـــك يُـــدمعُها البـــوارُ والفشـــل

أخوتـــان: فـــذي المـــأوى نهايتهـــا وتلـــك نـــار اللظـــى ـ لأهلهـــا ـ نـــزل

أخوتـــان: فـــذي ســـبيلها طهـــرتْ وتلـــك قـــد خبثـــتْ بشـــؤمها الســـبل

أخوتـــان: فـــذي نـــارٌ علـــى علـــم وتلـــك يُعجمُهـــا الإبهـــامُ والـــدغل

أخوتـــان: فـــذي دربُ الألـــي رشـــدوا وتلـــك دربُ الألـــي إيمـــانَهم جهلـــوا

أخوتـــان: فـــذي الإســـلامُ سُـــلمُها وتلـــك تصـــرفها عـــن الهُـــدى المِلـــل

أخوتـــان: فـــذي القـــرآنُ يُرشـــدُها وتلـــك تهـــدي لهـــا الضـــلالة النِحَـــل

أخوتـــان: فـــذي دربـــي ، وعشـــتُ لـــه وتلـــك أمْقتهـــا ، لأنهـــا الضـــلل

أخـــوة الحـــق نـــورٌ فـــي دياجرنـــا وبعـــدُ ذكـــرى لمـــن ـ عـــن حقهـــا ـ غفلـــوا

أخـــوة تغـــبط الأنـــامُ صـــاحبها لأن حـــظ فتاهـــا ـ فـــي العـــلا ـ جلـــل

هـــي المنـــارُ لمـــن يـــأوي لسُـــؤدَدِها ... ومَـــن لـــه مطمـــحٌ فـــي العـــيش أو أمـــل

هـــي الـــدنانيرُ إنْ فقـــرٌ ألـــمّ بنـــا ... هـــي العطـــاءُ إذا مـــا النـــاس قـــد بخلـــوا

هـــي الـــدليلُ إذا حـــارت أدلتنـــا ... والطهـــرُ إن عمـــتِ الأقـــذارُ والوحَـــل

هـــي الســـلاحُ لمـــن يخـــوض خندمـــة ... كـــيلا تثبطـــه الأعـــذارُ والعِلـــل

هـــي المحبـــة إنْ كـــل الـــورى كرهـــوا ... هـــي المبـــادئُ والأخـــلاقُ والمُثَـــل

هـــي النصـــيحة فـــي أصـــفى عبارتهـــا ... ولـــيس ينصـــحُ مَـــن قـــد عـــاش يرتجـــل

هـــي الهبـــاتُ أتـــتْ بـــلا مؤاخـــذةٍ ... قـــد ســـاقها مَـــن ـ علـــى الـــرحيم ـ يتكـــل

هـــي المرافـــئُ إن تاهـــت سَـــفائننا ... وحـــار مَـــن ركبـــوا ، وقيـــل مـــا العمـــل؟

فيهـــا يجـــودُ ـ بنشـــر العلـــم ـ مَـــن عَلمـــوا ... ويصـــبح القـــدوة الشـــهباءَ مَـــن عملـــوا

فيهـــا ـ بأموالـــه ـ يســـخو الـــذي ملكـــتْ ... يـــــداه يُعْلمنـــــا أن الغِنـــــى دُول

ولا يمـــن بمـــا يســـخو علـــى أحـــدٍ ... لأن صـــــاحبنا ـ بـــــالله ـ متصـــــل

ويحمـــل العـــبء عمـــن قـــد يضـــيق بـــه ... لأنـــه إن دعـــا داعـــي الفِـــدا رجـــل

فـــــردٌ ويعـــــدل آلافـــــاً مؤلفـــــة ... مِـــن الأراذل مَـــن فـــي جـــدهم هزلـــوا

فـــــردٌ وصُـــحبته تســـمو براغبهـــا ... لأن صـــاحبه ـ بـــين الـــورى ـ المَثَـــل

فـــردُ وتغنـــي عـــن الأهلـــين رفقتُـــه ... إذ عـــن صـــديق لـــه الـــبلاءَ يَحتمـــل

لمـــا يَضـــن علـــى خِـــل بعارفـــةٍ ... شـــأن الألـــى اعتـــذروا فـــوراً إذا سُـــئلوا

أمـــا أخـــوة مـــن غـــارت مُروءتـــه ... والخـــذلُ شـــيمته والبُخـــل والختـــل

فتلـــك عـــارٌ تعـــافُ الـــنفسُ صـــورته ... لأن صـــاحبها فـــي جُبنـــه بطـــل!

يمـــوت حزنـــاً إذا مـــا الجـــود ناشـــده ... شـــيئاً مـــن البـــذل يُزجيـــه لمـــن ســـألوا

والنـــذلُ نـــذلٌ ، وإن حـــازت خزائنُـــه ... أمـــوال (قـــارونَ) ، إن النـــذل مُختبـــل

عبـــدٌ ، وســـيده الـــدينارُ لـــيس ســـوى ... هـــو التعـــيسُ ، وبـــين النـــاس يُرتـــذل

إن البخيـــل جميـــعُ النـــاس تكرهُـــه ... أمـــا الكـــريم بـــه الأنـــام تحتفـــل

والنـــاسُ تـــدعو علـــى البخيـــل مـــا رُفعـــتْ ... كـــفٌّ ومـــا فتـــئ اللســـانُ يَبتهـــل

والنـــاسُ أحبـــابُ مَـــن بـــالجود يشـــملهم ... ولـــيس - فـــي جـــوده - زيـــفٌ ولا حِيـــل

وينفـــرون مِـــن البخيـــل يَحـــرمُهم ... وســـترُ تقتيـــره - عليـــه - ينســـدل

لنفســـه عـــاش فليلـــزمْ مَحِلتهـــا ... حتـــى يُباغتـــه فـــي حينـــه الأجـــل

لنفســـه ضـــن - بـــالأموال - يجمعُهـــا ... والمـــرءُ لا بـــد - عـــن دنيـــاه - مُرتحـــل

لنفســـه منـــعَ الحقـــوق معتقـــداً ... أن الكـــريم - علـــى الأيـــام - يُبتـــذل

وخلّـــف الشـــحُّ جرحـــاً فـــي بصـــيرته ... ولا أراه - علـــى الأيـــام - يَنـــدمل

رأى التواضـــع بـــين النـــاس مَخبثـــة ... لـــذا تكبّـــر حتـــى غـــرَّه الخطـــل

وكـــم تناســـى الـــذي عانـــاه مِـــن زمـــن ... وعـــاش شـــيئاً - مِـــن الخيـــال - ينتحـــل!

رأى الـــذي مـــرّ - مِـــن أيامـــه - طـــلاً ... فهـــل يُغيّـــر عـــيشَ الحاضـــر الطلـــل؟

رأى الطريـــق إلـــى المـــأوى يُكلفُـــه ... وجنـــدل العـــزمَ - فـــي ضـــميره - السَّـــفل

فـــيم الدراســـةَ - فـــي الإســـلام - يَعقبُهـــا ... بُعـــدٌ عـــن العِيـــر مَـــن بـــربهم عـــدلوا؟

فـــيم التمســـكُ بـــالأخلاق فـــي زمـــن ... يعلـــو الرقيـــعُ بـــه ، والشـــهمُ مبتـــذل؟

فـــيم التبـــاهي بمـــا فـــي الـــدين مـــن قـــيم ... وأنـــت إمعـــة تـــؤوي مَـــن اختبلـــوا؟

زهـــدت فـــي الـــدين حتـــى عشـــت منحـــدراً ... إلـــى الحضـــيض تحـــاكي هـــزلَ مـــن فشـــلوا؟

إنـــي برئـــتُ مـــن الأخـــوة انـــدحرتْ ... فيهـــا معـــالمُ مَـــن مِـــن خـــذلهم خجلـــوا

أخـــوةٌ بهتـــت ألـــوانُ سُـــؤدَدِها ... ولا يُثمنهـــــا إلا الألـــــى سَـــــفلوا

أخـــوةٌ فقـــدت روحـــاً تـــدِل بهـــا ... فأصـــبحت - بالـــذي جَنتْـــه - تختبـــل

وأصـــبحت مـــن جنـــى أفعالهـــا جـــبلاً ... وهـــل يُطـــاق جَنـــى نفـــس هـــي الجبـــل؟

أخـــوةٌ مـــا لهـــا - فـــي الخـــذل - مِـــن مَثـــل ... ويـــأمن النـــاس بلواهـــا إذا اعتزلـــوا؟

إذ تجعـــل الخـــذل تمحيصـــاً وتجربـــةَ ... والحـــرصُ - فـــي زيفهـــا اللمـــاع - يَشـــتعل

وكـــم نصـــحتُ ، فلـــم تُـــدرك رســـالتها! ... وكـــم جهـــرتُ لعـــل النـــذل يَعتـــدل!

إنـــي وجـــدتُ - بأهـــل الســـلم - غـــائبتي ... مِـــن الـــذين إذا ذكّـــرتهم وجلـــوا

مَـــن يبـــذلون بـــلا مَـــن ولا ألـــم ... وينصـــحون بـــأقوال هـــي الغـــزل

مَـــن يبـــذلون ، وإن مـــدحتهم أســـفوا ... لأن قـــدوتهم - مِـــن الـــورى - الرُّســـل

فـــالجودُ طـــابعُهم إمـــا إذا برحـــوا ... والبـــذل ديـــدنهم إمـــا إذا نزلـــوا

هـــمُ الميـــامينُ فـــي ســـر وفـــي علـــن ... وهـــم تقـــاة إذا قـــالوا وإن فعلـــوا

هـــمُ الأشـــاوسُ ، لا تلـــوى إرادتهـــم ... والقـــولُ فصـــلٌ ، فـــلا هـــزلٌ ولا زلـــل

هـــم الأماجـــدُ ، والأمجـــادُ مـــوئلُهم ... والقـــوم ممـــا أتـــت أمجـــادُهم ذهلـــوا

هـــم الأفاضـــل بالأفضـــال قـــد نُعتـــوا ... والصـــيتُ مستشـــرفٌ والأجـــرَ قـــد حصـــلوا

ولســـتُ أقـــوى علـــى ردّ الجميـــل لهـــم ... وإن تكلفـــتُ ممـــا كنـــتُ أفتعـــل

وإنمـــا الشِـــعرُ بعـــضُ الـــرد لـــيس ســـوى ... فـــي كـــل بيـــت رؤىً نـــاءت بهـــا الجُمـــل

والشِـــعرُ يُنصـــفهم ممـــن ينـــاوئهم ... إن الحقـــائق لا يُضـــيرُها الجـــدل

أعـــيشُ مـــا عشـــتُ فـــي الـــدنيا أوقـــرهم ... فهـــم لكـــل الـــذي أدعـــو لـــه كفلـــوا

أجِــلُّ ـ فـــي هـــذه الـــدنيا ـ أخـــوتهم كمــــا يُجــــلّ العِظــــامُ الســــادة الأول

أدعـــو لهـــم كلمــا ذكـــرتُ سِــيرتهم إنْ جــاوروني وإنْ عـــن قريتـــي ارتحلـــوا

ربــاه هُــم ـ بجميــع الفضــل ـ قــد ســبقوا فاقبــلْ صــحيح الــذي فـــي ذي الــدنا عملـــوا

الأخوة الزائفة (سُداسيات شعرية)

(بعد أن سعى عامداً في خراب بيت شقيقه ، وصاحبَ الأعداء ، وقام بصياغة الحبكة القصصية والتمثيلية الهزلية ، زاعماً أن الحقيقة يمكن أن تموت بمرور الأيام ، ولم يكن فيه مَعلمٌ من معالم الأخوة التي كان عليها عتبة وشيبة ولدا ربيعة ، فضلاً عن معالم الأخوة في التصور العقدي ، حيث يزعم هذا الجاني أنه من أهله. وقد أرسل شفعاءه ليحقق مبدأ يتوافق عليه كثير من المغالطين هو:

مـــــــــن اليـــــــــوم تعارفنـــــــــا   وننســـــــى مـــــا جـــــرى منـــــا

ولا كـــــــــــان ، ولا صـــــــــــار   ولا قلـــــــــــــــتم ، ولا قلنـــــــــــــا

وإذا به يبتسم لشقيقه ابتسامة البُله والسذج والمنافقين ، واهماً أن الابتسامة يمكن أن تعيد الأخوة المزعومة المفتراة المدعاة ، ونسي أو تناسى بيتاً من الشعر يصف تنافر القلوب فيقول:

إن القلـــــــوب إذا تنـــــــافر ودّهـــــا   مثـــــل الزجاجـــــة كسْـــــرُها لا يُشـــــعَبَ

ومن هنا كانت القصيدة ترجمة لهذا الموقف الأليم المزري من الشقيق الزائف الذي لا يُشرّف. يقول الأستاذ عبد الرحمن الكيلاني عن الأخوة الحقيقية ما نصه: (لا شك أن مفهوم الأخوة في الإسلام يتعلق بالإيمان نفسه وهو قائم على العلاقة في الله ، والرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول في الحديث الصحيح: "أوثقُ عُرى الإيمانِ الحُبُّ في اللهِ والبغضُ في اللهِ". وفي الحديث الآخر: "من أحبَّ في الله وأبغضَ في الله فقدِ استكملَ الإيمانَ" لأن الحب من عمل القلب متعلق به. وكذلك البغض ، وهما - أي الحب والبغض - يجب أن يكونا عند المؤمن في الله ولله. فالمؤمن يحب ما أحب الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وهو يبغض ما أبغض الله ورسوله - عليه الصلاة والسلام -. لذلك ، فإن عمل قلب المؤمن - من حب أو بغض - إنما متعلق بأمر الله تعالى وأمر دينه! لا بهوى النفس وحظوظها ، لأن النفس في ذاتها قد تحب ما يبغض الله - والعياذ بالله – وبالعكس ، فإنها قد تبغض ما يحب الله تعالى. وهذا - بلا شك - نقص وشرخ في إيمان المرء. لذلك ، فإن مفهوم الحب في الله والبغض فيه - سبحانه - له موازين تحكمه. يقول المولى عز وجل: (والعَصْرِ. إنَّ الإنْسانَ لفي خُسْرٍ. إلاّ الذينَ آمنوا وعَمِلوا الصّالحاتِ وتَواصَوْا بِالحَقِّ وتواصَوْا بالصَّبْرِ). روى الطبري في تفسيره جامع البيان بسنده عن مجاهد: "(إن الإنسان لفي خسر) إلا من آمن (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يقول: إلاّ الذين صدقوا الله ووحدوه ، وأمروا له بالوحدانية والطاعة ، وعملوا الصالحات ، وأدوا ما لزمهم

من فرائضه ، واجتنبوا ما نهاهم عنه من معاصيه ، واستثنى الذين آمنوا من الإنسان ، لأن الإنسان بمعنى الجمع ، لا بمعنى واحد". وقال الطبري: "وقوله: (وتواصوا بالحق) يقول: وأوصى بعضهم بعضا بلزوم العمل بما أنزل الله في كتابه من أمره واجتناب ما نهى عنه فيه. وقد جاء عن الحسن (وتواصوا بالحق) يعني: كتاب الله. قوله: (وتواصوا بالصبر) "يقول: وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على العمل بطاعة الله. وهذا مروي عن قتادة بن دعامة السدوسي. قال: (وتواصوا بالصبر) الصبر: طاعة الله. وكذلك قال الحسن البصري رحمهم الله تعالى"اهـ. وجاء عن الشافعي قوله: "إن الناس أو أكثرهم في غفلة عن تدبر هذه السورة". ونقل ابن كثير في تفسيره قول الشافعي ـ رحمه الله ـ: "لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم". وقال ابن كثير عند قوله تعالى: (وتواصوا بالحق): "وهو أداء الطاعات ، وترك المحرمات. (وتواصوا بالصبر) أي على المصائب والأكدار وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر").هـ. روى الإمام مسلم بن الحجاج القشيري في صحيحه عن بردة عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً". وعنده عن النعمان بن البشير مرفوعاً: "مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمى". وفي رواية عنه قال صلى الله عليه وسلم: "المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينُه اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسُه اشتكى كلُّه").هـ. الأخوة أكسير الحياة بعد التوحيد! ولكن أية أخوة؟ إنها الأخوة الحقيقية الصادقة! والآن لنطالع القصيدة! وأعتذر عن طول المقدمة ، فلقد كان هدفي أن أبين الفارق الجوهري بين الأخوة الزائفة والأخوة الحقيقية!)

خبّئ البسمة ، هذا أوقعُ ... واذبح الفرحة ، أنت الأرفعُ

واقتل الترحيب ، لا تنطق به ... وانسفِ التجميلَ ، هذا أروع

واقطع الود الذي أودى بنا ... إنما سيفُ التجني أقطع

انتهى عهدٌ تولى بيننا ... إنما مات الإخاء الطيع

وعلى الماضي أقم لي مأتماً ... إنما هذا مصابٌ مُفجع

إنني أردتُ فؤادي نارُكم ... والتعالي منك هذا أفظع

********** **********

لســـــت والله تســـــاوي حيرتــــــي أنـــت غِـــرٌ لا تســـــاوي صـــرختي

إنمـــــا أنــــت الشــــقيق المفتـــــري وأنـــــا وحـــــدي أعـــــاني حُرقتــــي

نســــــبٌ قــــد رخصـــــتْ أثمانــــه لـــــيس والله يُســـــاوي دمعتــــــي

كـــم مـــن الأعمـــاق قـــد أعطيتــــه كـــي يُربـــى فـــي مغـــاني لـــوعتي!

وكظمـــــــتُ الغـــــيظ أرعـــــــى ودهُ ليــت شــعري ، كــم طــوتني ثــورتي!

كنـــت أزجـــي كـــل خيـــر ، أبتغـــي رفـــع قـــومي والهُـــدى والشـــرعة

******************* ******************

يـــا شـــقيق الغِـــل أنـــت المنـــتنُ وضـــــياع الـــــود مـــــنكم هـــــيّنُ

قـــد ســـبكت الـــدور ، خفـــفْ نبـــرة فلكـــــل الزيـــــف أنـــــت المـــــتقن

غيّـــــر الحبكـــــة هـــــذي ، إنهــــا كُشـــفت ، وانجـــاب فيهـــا المطعـــن

لســـت منـــي لحظـــة ، يـــا مفتـــر داركـــم مـــا عـــاد فيهـــا مـــأمن

إن مـــــاء العمـــــر فيهـــــا ذاهـــــبٌ وعـــــذابَ الـــــروح فيهـــــا مـــــزمن

وهـــــلاكَ المـــــرء فيهـــــا محـــــدقٌ وســـــرابَ الـــــوهم فيهـــــا يكمـــــن

******************* ******************

إن صـــدق الـــنفس شـــمسٌ تشـــرقُ وعطـــــاءَ الـــــذات خيـــــرٌ يعبـــــقُ

وشـــقيقَ المـــرء مـــن يســـمو بـــه وحبيـــــبَ الـــــروح خـــــلٌ يصـــــدق

لـــيس يوشـــي لفظـــة عـــن خِلـــه وعلـــــى المحبـــــوب دومـــــاً يُشـــــفق

لـــيس يســـعى خلـــف دينـــار ، ولا يرتضـــــي الشـــــح ، فـــــدوماً يُنفـــــق

يعبـــد المـــولى ، ويرضـــى حكمـــه وهْـــو – بـــين العـــالمين - البيـــرق

شـــــامة تحيـــا بهـــدْي وتقـــىً وبكـــــل العــــدل دومـــــاً تنطــــق

****************** ******************

أيــــن مــــن دنيــــاي خـــلٌ مســـلمُ شـــامخ العـــزة ، فيهـــا هيـــثمُ؟

يبـــذل المعـــروف دومـــاً ، والهُـــدى وإذا حُوربـــــتُ ثـــــار الضـــــيغم

ضـــــاحكُ الثغـــــر شـــــقيقٌ وأخ ينصـــح الصـــحب علـــيهم يحلـــم

راشـــد الـــرأي ، صـــريحٌ فـــي المَضـــا ولـــــه وسْـــــط البرايـــــا مَعلـــــم

ينثـــر النـــور علـــى عمـــر الفتـــى ويبيــــــــد الشــــــــر لا يستســــــــلم

رب فارزقنــــــا صـــــــديقاً مُؤمنـــــــاً وفِـــداه الـــروحُ ، صِـــدقاً والـــدم

الأشقاء الأعداء

(أشقاء شاذون لا يستحقون ما تحتويه الكلمة في طياتها من معاني الإخاء والحب. أحسن إليهم أكبرهم ، وسخره الله لهم أباً دون أب ، وصدراً حانياً بعد أن لفظتهم الصدور ، وكان لهم رداء وظهرا في الغربة. وجعل هؤلاء الأشقاء الأعداء جزاء المعروف خيانة وخسة وغدراً. فسمحوا لشقيقهم بالإهانة وهو الذي أعز شأنهم بين الناس بتوفيق الله إياه لذلك الجميل العظيم وسمحوا له بالضياع الذي أعدوا له عدتهم ، وسمحوا له بذل النفس بين الأراذل ، وكادوا له كيداً ليس لعدو! فأعلنها صراحة أن هؤلاء ليسوا مني ولستُ منهم إلا في مجرد الادعاء الأجوف على الأوراق والألسن ، ورب أخ لك لم تلده أمك. إن كل مسلم لم يعدم الأخوة الحقيقية في أحبائه وأصفيائه من أهل الإيمان بالله. فأرسل ذلك الشقيق الأكبر هذه الرسالة ، يكشف فيها نوايا الأشقاء الأوباش الذين افتعلوا تمثيلية فقط يقنعون أخاهم أنهم عادوا وأنابوا ، والله يشهد إنهم بكل ما تعنيه الكلمة لكاذبون. إذ الحقوق لم ترجع ، والأمر كما أعدوا ورتبوا. إنهم يريدون عودة جوفاء لا أخوة صادقة فيها. وفي مقال عنوانه: (الأخوة في الله) يقول كاتبه أبو سعد الأثري ما نصه: (ينزل المسلم أخاه المسلم منزلة الصاحب لديه ، فيقوم بحاجته من فضل ماله إذا احتاج ، ولا ينتظر سؤاله فإن ألجأه إلى السؤال فهو دليل على تقصيره في حق أخيه ، وإذا انحط المسلم عن هذه المرتبة فهو مقصر مذنب يحتاج إلى فحص نفسه ، وتهذيبها والتوبة إلى الله تعالى. روى أن رجلاً جاء أبي هريرة فقال: إني أريد أواخيك في الله فقال: أتدري ما حق الإخاء في الله؟ قال له: عرفني! قال: ألا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني! فقال الرجل: لم أبلغ هذه المنزلة بعد. فقال أبو هريرة رضي الله عنه: فدعك عني. وليس هذا من بنات أفكار أبي هريرة رضي الله عنه فقد وردت مجموعة من الأحاديث تؤكد هذه الحقيقة العظيمة التي مفادها أن المؤمنين بوتقة واحدة ، ليس بينها حواجز. فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ قَالَ فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ) . وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ اعْتَلَّ بَعِيرٌ لِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ وَعِنْدَ زَيْنَبَ فَضْلُ ظَهْرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِزَيْنَبَ: (أَعْطِيهَا بَعِيرًا فَقَالَتْ: أَنَا أُعْطِي تِلْكَ الْيَهُودِيَّةَ؟ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَجَرَهَا ذَا الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمَ وَبَعْضَ صَفَرٍ). وعن ابن عمر قال: (ثم لقد أتى علينا زمان أو قال حينٌ

وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول يا رب هذا أغلق بابه دوني فمنع معروفه). ثم يرتفع بعض المؤمنين الصادقين إلى مرتبة الإيثار فيقدم إخوانه على نفسه فيلحق بأولئك الأفذاذ الذين خلد ذكرهم المولى عز وجل في القرآن الكريم: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ). فيصبح من المفلحين الذين يغبطهم الشهداء والنبيون. عن يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: (سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُقْطِعَ مِنْ الْبَحْرَيْنِ فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ حَتَّى تُقْطِعَ لِإِخْوَانِنَا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مِثْلَ الَّذِي تُقْطِعُ لَنَا قَالَ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي). ومن هذا النوع من الإيثار الذي يعجز الزمان أن يأتي بمثله ، ما حصل بين المهاجرين والأنصار عندما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم بعد الهجرة. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا قَالَ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ قَالَ سُوقُ قَيْنُقَاعٍ قَالَ فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فزاحمهم وبزهم في ميدانهم ، فما لبث غير قليل حتى كسب مالاً وتأهل من ماله ولم يرزأ سعداً بشيء). لقد كان عبد الرحمن عفيفاً ولكن تعجز النساء أن يلدن مثل سعد بن الربيع رضي الله عنه. هذه مرتبة مستحبة ، وليست هي واجبة أو فريضة محتمة كما كان في دين السيد المسيح الوجيه المقرب صلى الله عليه وسلم ، إذ قد روي أن أتباعه كانوا يخرجون من أموالهم ويضعونها في صندوق مشترك تصرف منه أمراؤهم على كافة أفراد الجماعة. طيب الكلام والمبسم والبشاشة في وجه الأخوة ورد السلام والفرح باللقاء! لأنه مدعاة لجلب المحبة ودوامها وفي هذا يقول المولى عز وجل: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا). ووصف عباده الصالحين أنهم طيبي الكلمة فقال عز وجل: (وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنْ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ). والقول الطيب والكلام الحسن يبطل كيد الشيطان ويسد أمامه الطريق للإفساد والتفريق بين الأخوة وفي ذلك يقول تعالى: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا). وهذا أمر من الله سبحانه وتعالى يفيد وجوب طيب الكلام وحسنه واختيار أفضل العبارات أوضحها في التعبير عن المقصود وإدخال السرور على قلب أخيك كل ذلك يدخل في مفهوم طيب الكلام ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ). ومن طيب الكلام أن يدعو أخاه بأحسن أسمائه ، وأحبها على قلبه يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (ثلاث يصفين لك ود أخيك تسلم عليه إذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه). والمبسم

والبشاشة في وجه الأخوة من موجبات الأخوة الإيمانية وكذلك هو من وسائل كسب القلوب ، لأن الوجه عبارة عن المرآة التي تعكس ما هو موجود في داخل أعماق الإنسان ، فإذا كان الوجه طليقاً بشوشاً كان موحياً بالبشر والمحبة في نفس المقابل ، أما عن كان عبوساً مظلماً فلا شكَ أنه يوحي في قلب المقابل بالضيق والاشمئزاز وعدم الانشراح ، فعلى الإخوة أن يطلقوا وجوههم فيما بينهم وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ).هـ.)

أيهـــا الأوبـــاشُ ، عـــزّ الطلـــبُ ... ومِـــن الـــدعوى يفـــوحُ الكـــذبُ

حصـــحصَ الحـــق ، فـــلا تعتـــذروا ... مـــا علـــيكم - فـــي التـــدني - عَتـــب

خيبـــة حلـــتْ علـــى أكبـــركم ... والأشـــقاءُ الخزايـــا سَـــبب

حســـرة فـــي القلـــب تكـــوي غـــده ... وبـــلاءٌ - مِـــن عـــل - ينســـكب

وشـــقاءٌ يغمـــرُ الـــنفس جـــوىً ... ومُصـــابٌ شـــبّ فيـــه التبـــب

ودمـــوعٌ تُغـــرق العـــين أســـىً ... وعـــذابٌ - فـــي صـــداهُ - اللهـــب

وجـــراحٌ نزفهـــا مُنفعـــلٌ ... وإبـــاءٌ فـــي الـــدجى ينتحـــب

وشـــموخ هـــان يـــا أوبئـــة ... وعلـــى البـــاغي اللظـــى ينقلـــب

وعلـــوٌ - فـــي الـــورى - بـــدّدَهُ ... كيـــد مَـــن - بالموبقـــات - اختضـــبوا

وكرامـــاتٌ ثـــوى سُـــؤدَدُها ... وانـــزوى - خلـــف الســـراب - النســـب

لا تقولـــوا: ذا شـــقيقٌ أبـــداً ... إنكـــم لـــم تفعلـــوا مـــا يجـــب

لا تقولـــوا: ذا أخونـــا ، فأنـــا ... لســـتُ للصـــرعى - إذن - أنتســـب

لا تقولـــوا: إننـــي أكبـــرُكم ... بيننـــا ضـــاعت - تـــروْن - النِسـب

لا تقولـــوا: ذاك منـــا ، فأنـــا ... كـــلَ نـــذل مـــنكمُ أجتنـــب

لا تقولـــوا: دمُـــه مِـــن دمنـــا ... فـــدمي عـــن دمكـــم مُغتـــرب

اصـــــدقوا النـــــاسَ ، ولا تخترعـــــوا ... مـــــنكمُ الصـــــدقُ غـــــدا ينتحـــــب

لـــــم تراعـــــوا حُرمـــــة شـــــرّعها ... ربنـــــا المـــــولى ، فـــــلا تضـــــطربوا

أنـــــتمُ نـــــارٌ بـــــدربي اشـــــتعلتْ ... والأســـــى - مِـــــن وهْجهـــــا - يلتهـــــب

أيهـــــا الأوغـــــادُ أنـــــتم ألمـــــى ... ليتنـــــي مـــــن مَكـــــركم احتجـــــب

إننـــــي قـــــدمتُ خيـــــري غـــــرداً ... عنـــــد لربـــــي إننـــــي أحتســـــب

فـــــانتقلتم مـــــن ضـــــنىً يقـــــتلكم ... وقلاكُـــــم فقـــــركُم والـــــوَدَب

كنـــــتمُ - فـــــي النـــــاس - عِبئـــــاً قـــــذراً ... واعتلـــــتكم - فـــــي البرايـــــا - الكُـــــرب

ثـــــم أصـــــبحتم رُكامـــــاً مَحِـــــلاً ... وقطيعـــــاً - فـــــي الـــــورى - يحتـــــرب

لـــــيس عَـــــوْدٌ - بيننـــــا – يـــــا همَـــــجٌ ... أنـــــتمُ - فـــــي النـــــاس - بـــــئس العصـــــب!

إننـــــي فـــــي غيـــــركم مُبـــــتهجٌ ... وبكـــــم قلبـــــي مَهـــــيضٌ لجـــــب

أحمـــــدُ الله علـــــى فرقتِنـــــا ... ثـــــم - بعـــــدَ اليـــــوم – لا أكتئـــــب

الرجولة الموءودة!

(الأخوة عندي بذلٌ وتضحية وفداء ونصيحة وجود. وأما الأخوة الباهتة الهزيلة الأنانية فلا تصلح أن تكون صحبة أو معرفة. وحقيقة ما استحق أن يكون أخاً شقيقاً من سولت له نفسه يوماً ، وسمح له ضميره الميت ، وقبلت له شخصيته وأذنت له أخوته أن يُهان شقيقه إهانة بلغت المنتهى وهو يعلم. ولا أراه شقيقاً أبداً من كان يسعى في النيل من أخيه ، في غربة كلاهما في أشد الحاجة لأخيه أو لشقيقه المزعوم. وصدق الشاعر أبو فراس الحمداني إذ يقول معاتباً! ولقد أجدى عتابه لأن أهله كانوا على مستوى الأهلية:-

أيـــا قومنـــا لا تشـــعلوا الحـــرب بيننـــا أيـــا قومنـــا لا تقطعـــوا اليـــد باليـــدِ

فجـــرح ذوي القربـــى أشـــد مَضاضـــة علـــى الـــنفس مـــن وقـــع الحُســـام المُهنـــد

إن الأخوة هي المفتاح السحري للتعامل مع الأحداث ، ومن هنا كانت للأخ وللشقيق مكانتهما في هذه الحياة. ولا يدرك ما أقول إلا رجل فقد الشقيق الموحد أو الأخ في الله. وساعة يكون الشقيق على عقيدة وتوحيد يكون شقيقه محظوظاً منظوراً من قبل الآخرين! ولكن عندما توأد الرجولة ويسمح الشقيق بأن يرى شقيقه مهاناً بعد كرامة وذليلاً بعد عزة ، فليس ثمة علاقة ولا خلة ولا شفاعة ، ولا يتمسّحَن شقيق هذا وصفه بشقيقه. وصدق إيهاب عبد الجليل إذ قال: (للرجولةِ قيمتُها ومنزلتها عند أربابِ العقول ، ويَدَّعيْها مَن ليسَ من أهلِ الاستنانِ بها من الصغار ، ويَرنو إلى المِدحةِ بها الأكابرُ ، فيُمدَح الشخص بأنه: رجلٌ ، ومن قومٍ رِجال ، وفيهِ رُجولةٌ ، وقد يَصِلُ الحالُ أن تُمْدَح المرأةُ بأنها: مُسْتَرْجلةٌ ، لنُدرَةِ الرجولة بين الناس). قال تعالى: (مّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ) ، وقال تعالى: (رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَاء ٱلزَّكَـوٰةِ يَخَـٰفُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلأَبْصَـٰرُ). إن بين الله وبين المؤمنين بيعة ، مفادها قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ). المشتري هو الله سبحانه وتعالى ، والبائع فيها هو المؤمن ، والسلعة هي الأنفس والأموال ، والثمن هو الجنة.)

إنمـــــا نـــــورُ المكرمـــــات ســـــبيلُ والهُـــدى - بـــين المُكْـــرَمين - رســـولُ

لكـــــنِ الكيـــــد المســـــتريب طوانـــــا وعلـــــى أشـــــلاء الإخـــــاء طلـــــول

بيننـــــا آبـــــارٌ تـــــؤجِّج نـــــاراً وعـــــذاباتٌ فـــــي دُجاهـــــا الفلـــــول
ونجـــوم الـــــود الشـــــريف تنـــــاءت وأبـــــاد الإشـــــراق فيهـــــا الأفـــــول
وإخـــــاءٌ – عبـــــر الـــــدُجُنّات - عـــــانى ثـــــم أردى الأطيـــــاف فيـــــه الـــــذبول
ليـــت شـــعري ، كيـــف الرجـــولاتُ ماتـــت ثـــم ســـادت - بـــين الأنـــام - الـــذيول
واســـــتبيح العِـــــرض الكـــــريم غِلابـــــاً وعـــــلا – بـــــين الخلـــــق – نـــــذلٌ عميـــــل
لا تســـــلني كيـــــف الـــــوداد تـــــولى؟ لا تســـــلني ، إن الجـــــواب يطـــــول
لا تســـــلني ، أنســـــابنا لا تســـــاوي ودمانـــــا – بـــــين البرايـــــا - تســـــيل
لا تســـــلني ، هـــــذي الـــــدماء تـــــرابٌ وإبـــــاءُ الأرواح فيهـــــا قتيـــــل
لا تســـــلني عمّـــــا كتبـــــتُ بشـــــعري قـــــد تنـــــاءى عنـــــي وعنـــــك الســـــبيل
لا تســـــلني ، كيـــــف الأخـــــوة زالـــــت؟ ولمـــــاذا هـــــذا الشـــــقاء يطـــــول؟
ولمـــــاذا بينـــــي وبينـــــك بُعـــــدٌ؟ ولمـــــاذا الشـــــكوى؟ ومـــــاذا الـــــدليل؟
ولمـــــاذا لا نرتضـــــي الوصـــــل زاداً؟ ولمـــــاذا يُـــــردي الإخـــــاءَ عـــــذول؟
قلـــــتُ: كـــــلا ، أنـــــت الوئيـــــدُ تمهّـــــلْ وجبـــــانٌ – فـــــي المَكرُمـــــات - رذيـــــل
ومصـــــابٌ بالخـــــذل قلبـــــاً وعقـــــلاً ووضـــــيعٌ فـــــي النائبـــــات خـــــذول
ولكـــــم عانيـــــتَ الرقـــــاد طـــــويلاً! وشـــــحيحٌ – فـــــي التضـــــحيات - بخيـــــل
أنـــت أخـــزى مـــن قـــد عرفـــتُ ، وربـــي وبطـــــئٌ عنـــــد المصـــــاب كســـــول
وعـــــديم الأخـــــلاق قـــــولاً وفعـــــلاً وغلـــــيظ - عنـــــد الإبـــــاء - كليـــــل
لـــــم تكـــــن يومـــــاً مســـــلماً وحنيفـــــاً ثابتـــــاً فـــــي أخـــــذ الهُـــــدى لا تميـــــل

حيـــث لـــو أنـــت المُتقـــي مـــا ذللنـــا لا ، ولـــم يَخمِـــش خافقينـــا العُجـــول

لـــم تكـــن تـــدري مـــا الرجولـــة حقـــاً إنمـــا أنـــت المســـتهين العليـــل

إنمـــا لـــو كنـــت الكـــريم المُعَلـــى لـــم يكـــن لـــي ذاك المقـــامُ الـــذليل

لـــم أكـــن – بـــين الخلـــق – يومـــاً مُهانـــاً لـــم يكِـــدْ لـــي – بـــين البرايـــا - الـــدخيل

فـــادفن الأخـــلاقَ التـــي لـــم تصُـــنها فعســـاني يحنـــو علـــيّ خليـــل

وعســـاني ألقـــى رجـــالاً بقـــومي وعســـاني يطـــوي اســـتيائي الرحيـــل

دمعة

(قرأ أحد القراء من سورة (يوسف) – عليه السلام - إلى أن وصل قوله: (وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) ، فانفعلتُ إذ لم ألق من إخوتي الأشقاء غير ما لقي يوسف من إخوته من أبيه. فدمعتْ عيناي دمعة توجع. قال المعتمر بن سليمان: (إن الرجل يُصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته). قال ابن الجوزي: (نظرتُ في الأدلة على الحق سبحانه فوجدتها أكثر من الرمل ، ورأيت من أعجبها: أن الإنسان قد يُخفي ما لا يرضاه الله. فيُظهره الله عليه ولو بعد حين! ويُنطق الألسنة به ، وإن لم يشاهده الناس. وربما أوقع صاحبَه في آفةٍ يفضحُه بها بين الخلق ؛ فيكون جواباً لكل ما أخفى من الذنوب ، وذلك ليعلم الناس أن هنالك من يجازي على الزلل ، ولا ينفع من قَدَره وقدرته حجاب ولا استتار). وكانت قصيدتي دمعة عيني!)

دمـــعُ عينـــي يرثـــي لحـــال الأشـــقا ... إن للـــدمع - فـــي مراثيـــه - حقـــا

والجـــراحُ كـــم أورثتنـــي همومـــاً! ... والعتـــابُ كـــم أورث القلـــب ضَـــيْقا!

كـــم لقيـــتُ مـــن حُرقـــة ومَـــرار ... مـــن أنـــاس فـــي حَمـــأة الخـــذل غرقـــى!

حطمـــــوني بخـــــذلهم دون حـــــق ... كـــم كـــريم - بالخـــذل - يعيـــا ويشـــقى!

كـــم بـــذلتُ للكـــل ، لمَّـــا أقصِّـــرْ! ... والجميـــلُ - عنـــد الأجاويـــد - يبقـــى

كـــم تفضـــلتُ ، كـــي يعيشـــوا كِرامـــاً! ... مـــا أقمـــت - بـــين الأشـــقاء - فرقـــا

غربتـــــي زادت بالأشـــــقاء ضـــــنكاً ... وأرانـــــي مازلـــــت ألقـــــى وألقـــــى!

كنـــــتُ أنـــــوي أخـــــوّة لا تبـــــارى ... وانطلاقـــاً - بـــالود - غربـــاً وشـــرقا

واعتصـــاماً بالشـــرع يُهـــدي المعـــالى ... وانتصـــــاراً للـــــدين يخفِـــــقُ خفقـــــا

والتزامـــــاً بـــــالحق يختـــــال فخـــــراً ... يســـحق الأعـــداء المُضـــلين سَـــحقا

واتباعـــاً للـــوحي فـــي كـــل شـــأن ... واحترامـــــاً يفـــــيض حُبـــــاً وشَـــــوقا

فـــإذا بـــي ألقـــى عَـــداءً وكيـــداً واحتقـــاراً ألقـــاه - فـــي الـــدرب - حمقـــى

محنتـــي فـــيهم ، فـــي الهُـــدى والســـجايا مَـــن رآهـــم يقـــول: ليســـوا أشِـــقا

رُبَّ شـــهم يكـــون للمـــرء عَونـــاً هـــو خيـــرٌ دينـــاً ، وأوسَـــعُ أفقـــا

شقيقان فرقهما الهوى

(صدق الإمام الجليل الفذ علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - في أبياتٍ نسبتْ إليه ولا يبعد أن تكون له:-

فمـــا أكثــر الإخــوان حـــين تعــدهم   لكـــــنهم فـــــي النائبـــــات قليـــــلَ

ولا خيــــر فــــي ود امـــرئ متلــــون   إذا الــــريح مالـــت مـــال حيـــث تميـــل

جــوادٌ إذا اســتغنيت عــن أخــذ مالــه   لكنــه عنـــد احتمـــال الفقـــر عنـــك بخيـــل

والحقيقة لا ولن تموت أبداً مهما طال الزمان ، ومهما زخرف كل صاحب إفكٍ إفكه! والتمثيلية محبوكة ومكشوفة لكل عاقل. وما هو إذ يطالع أولها ويعاينه حتى ينبيك عن الأحداث والخاتمة. ولقد تآمر شقيق مزعوم مع شياطين الإنس على خراب بيت شقيقه ، وكافأه الشياطين بالتوسط له عند أشباههم ليصبح هذا الجاني في مكانة يجمع فيها المال ، فبات منشاراً من المناشير التي لا ترحم ، وصار مرتزقاً من المرتزقة الذين يأكلون على حساب القيم والفضائل ، وقام الشقيق المجني عليه بالمواجهة في بيت الشقيق الغادر ، وذلك بحضور شقيق الاثنين مع اثنين آخرين من شياطين الإنس أعداء المؤمنين. وكان الاعتراف الصارخ والشقيقان يستمعان بكل هدوء وسكينة ، وكأن الشقيق المجني عليه ليس لأي منهما بشقيق ، مما يدل على تورطهما في التمثيلية الغثة ومشاركتهما في المسرحية الهزلية وتواطؤ كل منهما مع الغادرين ، وإذا بالأشقاء على طرفي نقيض! وصبرتُ واحتسبتُ ، ولقاء الجميع عند الله الذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون. وحكم الله في القيامة حكم عدل لا مجاملة فيه ولا ظلم فيه ولا تحيز! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً! فإذا فات الانتصار لحق مظلوم وأخذه من الظالمين في الدنيا ، فلن يفوت في الآخرة! والأيام بيننا!)

أيهـــــا التائـــــه تهفـــــو مشــــــرئبا   ليـــت شـــعري ، أتظـــن الوصـــل عـــذبا؟

أتظـــــن الخــــــذل يُعْلـــــي مســــــتخفاً؟   إن قلبـــي غـــصّ – بــــالتبيين - شــــجبا

أتظــــــن الـــــروح تهفــــو لهـــــواكم؟   أتظــــن القلـــــب بالأشـــــواق رحبـــــا؟

أنـــت مـــا كنـــت رفيقـــي ، أو صـــديقي   أنـــت نـــذلٌ - فـــوق هـــذي الأرض - دبـــا

أنـــت مـــا كنـــت خليلـــي ذات يـــوم ... أنـــت منشـــارٌ علـــى الفلـــس أكبـــا

أنـــت شـــاة بـــين كـــل النـــاس تلهـــو ... همّهـــا فـــي القـــوم أن تقتـــات عُشـــبا

أتظـــن الوجـــد يســـري فـــي دمانـــا؟ ... إنمـــا الأفـــواه عانـــت منـــك نـــدبا

تصـــل الأعـــدا ، وتجتـــرّ الوصـــايا ... وبهـــم يـــا مُفتـــر تصـــنع حِزبـــا

وبهـــم تشـــهر ســـيفاً فـــي قرانـــا ... وبهـــم يـــا معتـــدٍ تعلـــن حربـــا

ثـــم تـــأتي تـــدّعي اليـــوم إخـــاءً ... لســـتُ أرضـــى منـــك تـــدجيلاً وكِـــذبا

إنمـــا أنـــت ســـرابٌ ، لا شـــقيقٌ ... أنـــت وهـــمٌ وخيـــالٌ فيـــه شـــبا

أنـــت قـــيحٌ فـــي حيـــاتي ودروبـــي ... وضـــلالٌ فـــي مَعـــين العمـــر صُـــبا

قـــد خـــذلت الهـــدي جهـــراً دون عـــذر ... يـــا شـــقيقي ، ومـــلأت القلـــب رعبـــا

أنـــت قـــد دمّـــرت بيتـــاً وضـــحايا ... أنـــت يـــا أفـــاك قـــد حطمـــت دربـــا

وردمـــت البئـــر ، بـــددت الأمـــاني ... لســـتُ أرجـــو - مـــن معـــين البئـــر - شـــربا

واســـتبحت العِـــرض عمـــداً والقضـــايا ... وضـــربت الحـــق يـــا ســـفاحُ ضـــربا

عنـــدما واجهـــتُ أعـــدائي وقـــالوا ... قـــد فعلنـــا ، لـــم نخـــفْ فـــي الكيـــد ربـــا

وأمـــام اثنـــين كـــلّ قـــد تعـــامى ... وتناســـى لـــم يُعِـــر ســـمعاً وقلبـــا

أأخ فـــي الله صـــدقاً مثـــل هـــذا؟ ... أأخ مـــن كـــان للطـــاغوت جيبـــا؟

أشـــقيقٌ مـــن يبيـــع الـــود بخســـا؟ ... أشـــقيقٌ مـــن يَزيـــد الخطـــب خطبـــا؟

ويَزيـــد الطـــين مـــاءً دون جهـــل؟ ... ويَزيـــد الكـــرب بالخـــذلان كربـــا؟

لـــم تحـــرّك ســـاكناً للقـــوم ، كـــلا ... إنمـــا أمـــر التجنـــي كـــان غصـــبا

واتفقتم ومكرتم ، يا خزايا وسبكتم ، كان هذا المكر غيبا

ثم في الملهاة كنتم كالمطايا ونصرتم - في اللقا - صِلاً وذئبا

وشربتم - في المعاناة - دِمانا ونسجتم - فوق هذا الغل - رهبا

ثم قدمتم أخاكم للدواهي كنتما في الشر ثعباناً وضبا

لكما في الحقد سيفٌ وحِرابٌ تسلبان النور في المصباح سلبا

أشقيقٌ من يرد الحق عمداً وعلى أشلائنا يأكل حَبا؟

يحرق السمعة في كل البوادي ثم يحسو من دماء الطفل شوبا

همس الغادر فأذنْ لي بذبح قلت: فافعلْ لا تخف خذلاً وريبا!

إنما الغادرُ أعطاك الهدايا حيث قد نصّبْتَ أستاذاً وأبّا

لتمجّ السم للأولاد مجاً وتزيد الحَوب - تلو الحوب - حوبا

مثلما يحتال شمّاسٌ وقسٌ ما عليك اليوم يا دهقان عُتبى

فادرس التلمود والموضات حتى لا يكون الدرس ملغوزاً وصعبا

واسأل الحاخام عن كل غريب ناقش البابا ، فهذا ليس عيبا

لتبث الصلب في كل الزوايا ثم تعلي - فوق بأس الحق - سُحْبا

أيها السادر في قيح المخازي التمسْ في القوم أصحاباً ورَكبا

لم أعد أهواك ، أنت – الآن - عارٌ وشنارٌ ، بات وصلُ الوغد ذنبا

لا تقلْ يوماً شقيقي غاب عني إنني اليوم غريبٌ ، بت نهبا

إنني سطرتُ – للتاريخ - شِعري لا لتلقى فيه إشفاءً وسَبا

لا لتلقى فيه أفعاك التشفي إن فوق الكل يا مأفون ربا

هـــــذه الأفعـــــى جهـــــاراً فرّقتنـــــا وطوتنـــــا ، فلهـــا الخـــذلانُ عُقبـــى

زوجـــة فـــي الكيـــد غالـــتْ واســـتطالتْ دعـــك منهـــا والـــتمسْ فـــي الـــوزر توبـــا

إيـــهِ يـــا بالونـــة ثكلـــى أفيقـــي إن فـــي إفلاســـك المنفـــوخ ثقبـــا

أنـــت فـــي دنيـــا الغـــواني بعـــضُ ظِـــل خنفســـاءٌ فـــي حضـــيض الأرض جـــدبا

أيهـــا الممقوتـــة الشـــوها كفانـــا أنـــتِ فـــي الألـــوان والتضـــليل حِربـــا

لـــم تســـاو الشـــعر يزجيـــه يراعـــي صـــدقيني هِـــرة بـــالله حَـــدْبا

أخبرينـــي: هـــل لـــك اليـــوم حليـــلٌ ليـــت شـــعري ، أنـــت بـــين الغيـــد عزبـــا!

وأراكَ ـ اليـــوم ـ مزهـــواً بهـــذي فـــي انفعـــال ، قـــد قتلـــت الـــنفس عُجبـــا

وافترضـــت الخيـــر فيهـــا والســـجايا وادعيـــت الحســـن فيهـــا ، وهْـــي جربـــا

إننـــي ســـطرتُ شـــعري للبرايـــا كاشـــفاً للمفتـــري شـــرقاً وغربـــا

منطـــقُ التـــاريخ عـــاتٍ لا يحـــابي قلـــتُ رأيـــي ، لـــم أراع اليـــوم قربـــا

أيـــن مـــن روحـــي شـــقيقٌ فيـــه تقـــوى وثبـــات ، لـــيس بـــين النـــاس عطبـــا؟

يشـــتريني مـــن هجيـــر الظلـــم هـــذا قـــد عـــدمتُ اليـــوم خلانـــاً وصـــحبا

ولـــــه نصـــــحٌ وعـــــز وعطـــــاءٌ وإذا الأمـــــراض ســـــادت كـــــان طِبـــــا

وإذا القلـــب يعـــاني كـــان ســـلوى وإذا الـــروح قلتنـــي كـــان قربـــى

يمـــلأ الـــنفس ســـروراً وبهـــاءً وجمـــالاً يُفعِـــم الإحســـاسَ حُبـــا

إنْ قلانـــي النـــاس دهـــراً ، ورمَـــوْني كـــان فـــي حزنـــي شـــقيقاً مســـتحبا

وإذا خيّـــر بينـــي والمنايـــا قـــال: أفديـــه بروحـــي ، وتـــأبّى

طـــــاهر الفطـــــرة مقـــــدامٌ حلـــــيمٌ وعلـــى التوحيـــد – صـــدقاً – قـــد تربـــى

وإذا طالبتـــــــه يومـــــــاً بشـــــــيء قـــــال: هـــــذا ، وإذا بالشـــــهم لبّـــــى

لـــــيس هـــــذا بمحـــــال يـــــا فـــــؤادي فلمـــــاذا الـــــنفس يـــــا قلبـــــاه غضـــــبى؟

ولمـــــاذا يلعـــــق البلـــــوى شـــــعوري؟ ولمـــــاذا تســـــكن الآمـــــالُ جُبـــــا؟

ولمـــــاذا لا يـــــرى النـــــور إبـــــائي؟ ولمـــــاذا تنشـــــد الأشـــــعارُ شِـــــعبا؟

أيهـــــا الســـــائر فـــــي الغـــــي تـــــداجي إننـــــي واجهـــــتُ - بعـــــد النـــــوب - نوبـــــا

بـــــاعني الخـــــلان للطـــــاغوت صـــــدقاً! أحرامـــــاً أصـــــبح العـــــونُ ، وعيبـــــا؟

ثـــــم بـــــات الظلـــــم فنـــــاً واحترافـــــاً ثـــــم أضـــــحى النـــــذل مغـــــواراً وقطبـــــا

لـــــم يخـــــف رب البرايـــــا مـــــن رمَـــــوني لـــــيس يـــــدري جـــــائرُ الخـــــلان أوبـــــا

وترانـــــي رغـــــم هـــــذا فـــــي نعـــــيم رغـــــم أنـــــي قـــــد قتلـــــت الـــــنفس نحبـــــا

وإذا بـــــي فـــــي نشـــــاطٍ واجتهـــــادٍ وثبـــــاتي - رغـــــم هـــــذا - بـــــات صـــــلبا

آه لـــــو أنـــــك فـــــي مثـــــل مكـــــاني لـــــم تطـــــق عيشـــــاً ، وإن مُلّئـــــتَ إربـــــا

غيـــــرَ أنـــــي أحمـــــد الله تعـــــالى أننـــــي فـــــي الجـــــد لا أعـــــرف لِعْبـــــا

أحمـــــل الـــــنفس علـــــى الصـــــبر مِـــــراراً لســـــتُ أخشـــــى - فـــــي مســـــير العمـــــر - غبـــــا

ومضـــــائي مثـــــل ســـــدٍ مســـــتنيفٍ لا تـــــرى فـــــي عُـــــرض هـــــذا الســـــد نقبـــــا

عزمتـــــي فـــــي البـــــأس لا ترضـــــى هـــــواني وكـــــذا العِـــــزة فـــــي الآلام شـــــهبا

هِمّتـــــي - فـــــوق الثريـــــا - لا تبـــــالي وصـــــمودي بالرزايـــــا صـــــار خصـــــبا

وشـــــباب العمـــــر دومـــــاً فـــــي ازدهـــــار لـــــيس يـــــدري رغـــــم غِـــــل القيـــــد شـــــيبا

وســـــأحيا أكتـــــب الشـــــعر ، وأشـــــدو رغـــــم كـــــون الجيـــــل - بالتـــــذكار - جـــــدبا

وســــتروي كتـــب التـــاريخ شـــعري عنــدما أصــبح - فــي الأجــداث - تربــا

أيهـــا المغـــرورُ لا يغـــرُرْك حِلمـــي إن - فــي الأبيــات خلــف الــرمح - خِلبــا

ســـوف أصـــلِي بلهيـــب الشـــعر وغـــداً ســكب الغــدر - علــى الأشــلاء - ســكبا

ســـوف لـــن تســـعد بـــالعيش طـــويلاً ســوف يغــدو الــذل - للمغــرور - كســبا

إن تكـــن فحـــلاً أجـــبْ بالشـــعر شـــعري وإذا العُجـــــب تمـــــادى فاســـــتطبا

ثـــم صـــدّقْ أنـــت لـــم تـــذهب بعيـــداً منــك إنـــي قــد رأيــت اليــوم شــعبا!

ولـــيَ الـــرحمنُ ، لا أبغـــي ســـواهُ يرقـــبُ الغـــوث فـــؤادي مُشـــرئبا

فـــأجرْ يـــا رب عبـــداً فـــي مُصـــاب واجعــل اللهــم لــي - فــي النــاس - حِبــا

صِدق الأخوة

(إن القصة التي قال صاحب (عيون الأخبار) ج4 صـ 5:4 عن هذين الأخوين لغريبة! قال العُتبي: سمعتُ أبي يحدّث عن ناس من أهل الشام: أن أخوين كان لأحدهما زوجة ، وكان يغيب ويخلفه الآخر في أهله ، فهويته امرأة الغائب فراودته عن نفسها فامتنع ، فلما قدم أخوه سألها عن حالها ، فقالت: ما حال امرأة تراوَد في كل حين! فقال: أخي وابن أمي! وإني لا أفضحه! ولكن لله عليّ أن لا أكلمه أبداً. ثم حج ، وحج أخوه والمرأة ، فلما كانوا بوادي الدوم "مكان في الحجاز يفصل بين خيبر والعوارض" ، هلك الأخ ودفنوه ، وقضوْا حجهم ورجعوا ، فمرّوا بهذا الوادي ليلاً فسمعوا هاتفاً يقول:

أجـدك تمضـي الـدوم لـيلاً ، ولا تـرى عليـك - لأهـل الـدوم - أن تتكلمـا

وبالـدوم ثـاو لـو ثويـت مكانـه ومـرّ بـوادي الـدوم حيـاً لسـلما

فظنتِ المرأة أن النداء من السماء ، فقالت لزوجها: هذا مقام العائذ ، كان من أخيك ومني كيت وكيت. فقال: والله لو حلّ قتلك لوجدتني سريعاً ، ففارقها وضرب خيمة على أخيه وقال:

هجرتـك فـي طـول الحيـاة ، وأبتغـي كلامـاً لمـا صـرت رمسـاً وأعظمـا

ذكـرتُ ذنوبـاً فيـك كنـت اجترمتهـا أنـا منـك فيهـا كنـت أسـوا وأظلمـا

ولم يزل مقيماً حتى مات ودفن بجانب أخيه ، فالقبران معروفان (عيون الأخبار : 4 /5:4).هـ. وإن المرء اليوم لينعي الأخوة حيث كان بعض الإخوة يأتي بالصرر فيها الدراهم والدنانير ، فيجعلها في نعال إخوانه حتى إذا لبسوها أحسوا بما فيها فأخذوه دون أن يشعروا ، فيقال له: لماذا لا ترسلها إليهم؟ قال: "إني أكره أن يتمعر وجه أخي عندما ينظر إلى رسولي ، أو إلى كتابي ، أو إذا لقيني"! وقال عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - معبراً عما كان في ذلك الصدر الأول من البذل للإخوة: "أتى علينا زمان وما يرى أحدٌ منا أحق بالدينار والدرهم من أخيه المسلم". قال أبو عبيد القاسم بن سلام: "زرت أحمد بن حنبل في بيته ، فأجلسني في صدر داره ، وجلس دوني ، فقلت: يا أبا عبد الله أليس يقال: صاحب البيت أحق بصدر بيته؟ فقال: نعم ، يقعد ويُقعِد من يريد" ما دام له الحق يُقعِد من يريد ،

"فقلت في نفسي: خذ إليك فائدة أبا عبيد ، ثم قلت: يا أبا عبد الله ، لو كنت آتيك على نحو ما تستحق لأتيتك كل يوم" لو على حقك ومقدارك ـ يا أيها الإمام ـ لكان الواجب أن آتيك كل يوم". قال: لا تقل هذا إن لي إخواناً لا ألقاهم إلا في كل سنة مرة أنا أوثق بمودتهم ممن ألقى كل يوم". قد تكون هناك ظروف تمنع من اللقاء اليومي ، أو الأسبوعي ، أو الشهري ، لكن المحبة في الله باقية ، "فقلت في نفسي: خذ أبا عبيد فائدة ثانية ، فلما أردت القيام قام معي ، فقلت: يا أبا عبد الله ، فقال: قال الشعبي: من تمام زيارة الزائر أن تمشي معه إلى باب الدار ، وتأخذ بركابه". "فقلت: يا أبا عبيد هذه الثالثة ، فمشى معي إلى باب الدار ، وأخذ بركابي"! قال بعض السلف: "إني لأستحي من الله أن أسأل الجنة لأخٍ من إخواني وأبخل عليه بالدنيا" أي بالدينار والدرهم. وروي أن مسروق رحمه الله ادَّان ديناً ثقيلاً ، وكان على أخيه خيثمة دين ، قال: فذهب مسروق فقضى دين خيثمة ، وهو لا يعلم ـ خيثمة لا يعلم أن مسروق قضى دينه ـ ، وذهب خيثمة فقضى دين مسروق ومسروق لا يعلم ، فكل واحد قام بشأن أخيه من غير أن يعلم ، وكلاهما صاحب حاجة. وكان أبو جعفر محمد بن علي يدعو نفراً من إخوانه كل جمعة ، فيطعمهم الطعام ، ويطيبهم ويبخرهم ، ويروحون إلى المسجد من منزله. أنشدتُ في ذلك من المنسرح أقول:)

أخـــــوة تبتغـــــى وتلــــــــتمَسُ	منهــــا كِـــرامُ الأنـــام تقتـــــبسُ
ليســـت تُبـــارى مهمـــا تَكلفهـــا	جيـــلٌ ـ بمـــا يحتويـــه ـ يـــأتنس
إن الإخـــــاء البــــريء ديــــدنها	ومِـــن أصـــيل الوفـــا لهـــا أســـس
والمَكْرُمـــــاتُ الحِســـــانُ تُربتهـــا	والبـــذلُ والجـــودُ هـــا همـــا قـــبس
مـــاذا تريـــد البلهـــا التـــي مَكـــرتْ؟	والعشـــــقُ طوفـــــانٌ فـــائرٌ مَـــرِس
كـــم أزهــــا للـــــذي تؤمّلــــه	وهــــجُ التــــدني ، كأنــــه القـــبس!
إذ راودتْ لــــم تَخــــفْ عواقبهـــا	وقلبُهـــا ـ فـــي السُـــعار ـ مُــــنغمس
تُســـعّرُ النـــزوة التـــي جَمحـــتْ	وذا طريــــــقٌ مُجنــــــدلٌ يَــــــبَس
ولكـــنِ الشـــهمُ عـــاب جُرأتهـــا	وقـــال: لســـتُ البهـــيمَ يفتـــرس

وإن تخـــنْ تلـــك زوجهـــا علنـــاً والأمـــرُ بـــادٍ ، ولـــيس يلتـــبس

وتبـــذلُ العِـــرض لـــيس يردعُهـــا عُـــرفٌ ، ولا إســـلامٌ ، ولا عَسَـــس

وتشـــتهي العـــارَ لســـتُ أقربـــه واهتـــاجَ فيهـــا الســـعارُ والـــنفس

فلـــيس مثلـــي الـــذي يحِـــنّ لهـــا إذ للتـــــدني أزيـــــارُه الحُمُـــــس

وإن أتتنـــــي ضُـــــحىً تراودنـــــي عَـــز الـــذي تشـــتهي وتلـــتمس

خـــوفي مِـــن الله بـــات يمنعنـــي وللتـــــردي تبـــــذلٌ نجـــــس

وإنّ صـــــدق الإخـــــا يُســـــربلني صُـــواه بـــادٍ ، ولـــيس ينـــدرس

لا تبكِ يا مَن كنت شقيقي

(بعد أن سلب ذلك الشقيق النذل الجبان شقيقته كل شئ. لجأتْ إلى سؤال الناس بعد أن أصبحتْ معوذة محتاجة وهي الغنية. وعثر عليها تتسول ، فأخذته الرقة والشفقة ، واستعصمتْ عن رقته وشفقته. وقالت: لا تبك يا من كنت يوماً ما شقيقي. فأخذتني قشعريرة الشعر لمّا سمعتُ بقصتها. ذلك أنها كم وعظته ونصحته ولكنه أعرض ونأى بجانبه ، وأخذته العزة بالإثم! والشقيق الذي يؤثر الظلم على العدل ، ويفضل العجرفة على التعامل بالقيم الإنسانية النبيلة ، لا يستحق أن يكون شقيقاً! لأنه لا يدرك من الأخوة شفافيتها ولا تضحيتها ولا بذلها! وأظن أن مثل هذه الطوام إن كانت سمت إنسان ما ، فلن ينصف الآخرين من نفسه ، لا في سلم ولا في حرب!)

الـدمعُ يُزْكِـي الجـوى ، والكـربُ يشـتدُ ... والحـزنُ فـي القلـب رغـم الأنـف يمتـدُ

والوجـدُ يـذبحُ إحساسـي وعـاطفتي ... وطـال ليـلُ الأسـى ، فمـا لـه حـد

والـنفس فـي لجـة الأوهـام جاثمـة ... وسـهمُ حسـرتها – للقلـب - يرتـد

غـدرُ الشـفيق ديـاجيرٌ تسـربلني ... وكلمـا لمتـه علـيّ يحتـد

وكـم عتبـتُ فلـم يُنصـتْ لنـائبتي! ... وبيننـا - مـن لظـى شـقاقنا - سـد

لأنـه غاصـب حقـي ، وقـاطعني ... وإن طلبـتُ فمـا لخـاطري رد

لـذا مـددتُ يـدي لمَـن يناولهـا ... حـق المسـاكين والتقـوى هـي القصـد

عففـتُ إذ رتـع الشـقيق مغتبطـاً ... فـي حُـر مـالي ، وقـد أحاطـه السـعد

ولـم يُـراع إخـاءً كـان يجمعُنـا ... لمّـا يمـر علـى وفاتـه عَقـد

أواه مـن طمـع أضـحى يُهـددنا ... وكيـدُه اليـومَ - بـين الأهـل - يشـتد

لا تبـكِ ، أنـت الـذي قـد بعـت خلتنـا ... وخنـت عهـد الإخـا حتـى ثـوى العهـد

مازلـت تسـرق حقـاً كـان يمنعنـا ... سـؤال مَـن - بسـراب المـال - يعتـد

ومـــا شـــبعت مـــن الحـــرام تحصـــده وســـوف يُـــدخلك النيـــران ذا الحصـــد

فتـــب إلـــى الله مـــن أكـــل الحقـــوق كفـــى عســـى ذنوبـــك يـــا مَغـــرورُ تنهـــد

لا يا من كنت شقيقي!

(الرجولة سابقة على الأخوة ، وليست لاحقة عليها. والأخ الموحد أفضل الناس بإطلاق ، وإذا كان ولا بد من متاركة التوحيد وهجر العقيدة ، فلا مرحباً بأي علاقة كانت! وهنا تبقى الرحم شكلاً دون معنى ، ورسماً دون مضمون ، واسماً دون حقيقة ، وصورة دون واقع ، وظلاً دون أصل! وأنثوية موحدة خير من رجولة جاهلية. ورجولة جاهلية خير من أنثوية جاهلية. وعندما يستغني الشقيق بكل حمية الجاهلية وظنها وغرورها ويتعالى على شقيقه ، فإنها اللعنة تصيب القلوب والضمائر والأحاسيس والتصورات. وعندما يجعل الشقيق من لسانه أداة للتشويش على شقيقه وبوقاً للمجرمين ، فعندئذ تكون العلاقة بينهما قد وصلت إلى أدنى مستوى تكون فيه. ورب أخ لك لم تلده أمك ، وإنما المؤمنون إخوة ، والمسلم أخو المسلم. وفي القصيدة أصور هذا كله! وصدق من قال: المرء قليلٌ بنفسه كثيرٌ بإخوانه ، الواحد منا لوحده لا يقوى أبداً على مواجهة الحياة وظروفها ومشاكلها ، والعقبات التي تكون في طريقه ، فالمشاكل كثيرة جداً ، والهموم عظيمة ، والمهمات صعبة ، فالمسلم مكلف بمهمات ، وستواجهه عقبات على طول الطريق ، إذا لم يكن يعيش وسْط إخوة له في الله عز وجل فستذوب شخصيته في هذه الحياة الدنيا الفانية ، وستنهال عليه المصائب من كل جانب ، وما من معين . وتظهر أهمية الأخوة في الله بدلائل كبيرة عندما يكون المسلمون في حالة ضعفٍ واضطهاد وعندما يكون الإسلام متأخراً في النفوس. فإلى كل شقيق خذول نذل أقول:)

مَـــــلَّ القـــــريضُ كآبـــــة الأوزانِ ... وتضـــــمَّخ التعبيـــــر بـــــالألوانِ

والشـــوق ذاب كمـــا الجليـــد صـــبابة ... والـــدمعُ يشـــكو غربـــة الإخـــوان

والشـــعر عشـــعش فـــي ســـرائره الجـــوى ... وطغـــت عليـــه ســـحائبُ الأحـــزان

وئِـــد الحنـــين ، فـــلا إخـــاء ولا وفـــا ... وكـــذا اســـتكانت عزمـــة التحنـــان

خلـــتِ القلـــوبُ عـــن المحبـــة والصـــفا ... والشـــهمُ تحـــت مطـــارق العـــدوان

ودمُ الشـــــقيق فمُهـــــدَرٌ ومُبعثـــــرٌ ... فـــوق الـــدروب ضـــحية النســـوان

وبضـــاعة الـــوحي الكـــريم رخيصـــة ... وعلـــى الـــرؤوس بضـــاعة الكفـــران

وأخـــوة مَســـحَ الهـــوانُ أريجهـــا ... فغـــدت هُـــراءاتٍ بغيـــر معـــاني

ومكلِـــفُ المـــرذول ضـــد فعالـــه ... أبـــداً يبـــوء بصـــدمة الـــبُطلان

إن الأخـــــوة إن تمـــــرّق ودّهـــــا ... يـــأتي الشـــقيقُ نكـــارة الثعبـــان

وأراك تـــزعم يـــا دعـــيّ أخـــوتي ... ولـــنحن مِـــن بـــين الـــورى أخـــوان

أخـــوان مـــن حيـــث التســـمي والـــدما ... لكنمـــــا أخـــــوان مفترقـــــان

أخـــوان فـــرّق بـــين كـــلٍ منهمـــا ... هـــديُ الرســـول وشـــرعة الـــرحمن

حتـــى العروبـــة أنـــت عنهـــا حائـــدٌ ... وعـــن الرجولـــة حِـــدت والأوطـــان

ولأنـــت فـــي درك الحضـــيض ومنـــه يبـــ ... ـــرأ عُتبـــة ، وكـــذا الشـــقيق الثـــاني

وأراك تجتـــــر الـــــدراهم والغنـــــى ... آلافهـــــا تســـــعٌ بـــــلا نقصـــــان

ولأنـــت ترفـــل فـــي النعـــيم وفـــي الرخـــا ... وتعـــيش فـــي عـــز رفيـــع الشـــان

وأخـــوك يغســـل فـــي بيوتـــات الـــورى ... ويعـــيش فـــي قـــيح الهـــوان يُعـــاني

وينـــــال منـــــه مُعربـــــدٌ ورقيعـــــة ... وتنـــــال منـــــه عَـــــواهرٌ وزوان

مـــن كـــل ســـاقطةٍ تزيـــل حيـــاءه ... وتريـــــد أن تحتـــــال للقربـــــان

ويـــدوس ـ فـــوق إبائـــه ـ مســـتكبرٌ ... ويـــذوق طعـــم الـــذل مـــن خـــوّان

وتمـــوت ـ مـــن فـــرط المذلـــة ـ روحـــه ... ويـــذوب ممـــا قـــد تـــرى العينـــان

ويُـــراوَد المســـكين عـــن توحيـــده ... والأمـــرُ فـــي ســـر وفـــي إعـــلان

يتجـــرع الســـم الزعـــاف لحاجـــةٍ ... يـــا فرحـــة الأعـــداء والأقـــران

أأمنـــت حقـــاً بـــين قطعـــان الغثـــا؟ وأخـــوك خـــاف تجبّـــر الـــدهقان

وأكلـــت مـــا طالـــت يـــداك أطايبـــاً وأخـــوك ذاق مـــرارة الحرمـــان

وشـــربت حتـــى قـــد رويـــت مـــن الظمـــا وأخـــوك ويـــح أخيـــك مـــن ظمـــآن!

وكُســـيت بـــين القـــوم أنـــدى حلـــةٍ وأخـــوك ويـــح أخيـــك مـــن عُريـــان!

وبنيـــت داراً فـــي ديـــارك غضـــة وكأنهـــا فـــي الحســـن كـــالإيوان

وأخـــوك لا مـــأوى لـــه بـــين الـــورى لكنمـــا هـــو فـــي دجـــى الكثبـــان

وقـــد ادخـــرت المـــال تخشـــى مـــن غـــدٍ وأخـــوك مُحتـــاج إلـــى الأكفـــان

أيـــن الأخـــوة يـــوم حـــق عطاؤهـــا؟ أيـــن الأخـــوة فـــي دنـــا الـــذؤبان؟

أيـــن الأخـــوة يـــا ابـــن أم وأب؟ أيـــن الأخـــوة يـــا أخـــا الشـــيطان؟

أيـــن الأخـــوة فـــي علاقتنـــا إذن؟ عقـــد الأخـــوة موغـــل الـــبطلان!

إذ لـــيس يـــأتي مـــا أتيـــت موحـــدٌ فالخـــذلُ ممقـــوتٌ لـــدى الـــديان

وكـــذاك لا يأتيـــه مـــن يتنســـكو ن علـــى ضـــلال فـــي دجـــى الصـــلبان

أنـــا لســـت أحقـــد يـــا ســـفيه علـــى الـــذي كســـبتْ يـــداك مـــن المتـــاع الفـــاني

لكـــنْ أبـــيّن أن كـــل مـــروءةٍ تـــأبى الـــذي تأتيـــه مـــن بُهتـــان

وكـــذا أبـــيّن أن كـــل أخـــوةٍ حـــقٌ عليهـــا البـــذلُ فـــي إمعـــان

أتقـــول أنـــي قـــد فضـــحتك فـــي الـــدنا؟ كـــل الـــذي قـــال الكـــذوب أتـــاني

فصّـــلتَ مـــن قـــيح التـــدني حُلـــة وفجَـــرتْ قِيعانـــاً مـــن الخـــذلان

وبنيـــت آفاقـــاً لكـــل نقيصـــةٍ وزرعـــتَ آمـــاداً مـــن النكـــران

يـــا أيهـــا المـــرذول: قلبـــاً والنهـــى حتـــى متـــى تختـــال فـــي الخســـران؟

وإلـــى متـــى كِبـــرٌ يـــروح ويغتـــدي؟ وإلـــى متـــى تنـــأى عـــن الإيمـــان؟

أولســـت تـــذكر يـــوم جئـــت معزيّـــاً وتطيـــل فـــي ترنيمـــة الســـلوان؟

وأراك مغتبطـــاً بمـــا قـــد نـــالني وســـبكتَ عنـــدي رجفـــة العرفـــان

فهنـــاك فـــي المَشـــفى أتيـــت تزورنـــي تزجـــي التـــأثر مثلمـــا الكهّـــان

ودفعـــت بـــالمئتين مـــن يـــد شـــامتٍ والعـــذلُ أثقـــلَ كِفـــة الميـــزان

فـــرددتُ مالـــك قلـــت: لا! وحلفـــت لـــي! ولـــذا احترمـــت جلالـــة الأيمـــان

لـــولا يمينـــك مـــا أخـــذت دُريهمـــا وأخـــوك يشـــهد بيننـــا يـــا جـــاني

أيـــن الـــدراهمُ يـــوم كنـــتُ بحاجـــةٍ؟ خـــذلانكم مـــا كـــان فـــي الحُســـبان

أيـــن الـــدراهمُ يـــوم طـــالبني الـــورى بـــديونهم وجُرفـــتُ فـــي الطوفـــان؟

أيـــن الـــدراهمُ يـــوم غسّـــلتُ الأذى بيـــديّ للعِربيـــد والســـكران؟!

أيـــن الـــدراهمُ يـــوم زالـــت هيبتـــي ووصِـــفتُ عنـــد النـــاس بالنقصـــان؟

وفقـــدتُ ـ عنـــد النـــاس ـ عِـــزة مـــؤمن ومضـــتْ مكانـــة ثـــائر صَـــيّان

أيـــن الـــدراهمُ يـــوم أقرضـــني الغريـــ ـــب وصـــانني؟ قـــد بـــات مـــن أعـــواني

أيـــن الرجولـــة يـــوم غابـــت شـــرعة؟ وكـــذا المـــروءة أيـــن يـــا إخـــواني؟

أيـــن الأخـــوة يـــوم أعطـــاني الـــورى حـــق الإخـــا وأخَـــيّ مـــا أعطـــاني؟

أنـــا لســـتُ أبغـــي منـــك مـــالاً والـــذي رفـــع الســـما ، فـــالله قـــد أغنـــاني!

لكـــنْ أبـــرهن أن فضـــلك مُـــنمح وأراك فـــي مســـتنقع الأدران

فـــادفنْ غـــرورك فـــي ســـراديب الهـــوى واقمـــع رماحَـــك فـــي أســـى الطغيـــان

واكبتْ نفاقك ، لا تقل: هذا أخي ... ودع التظاهر داخل الأجفان

واكبحْ رياءك ، ما عليك ملامة ... أألوم ظلاً ما له من شان؟

وامحقْ تقاعسك الحقير ، فإنه ... أبداً يُشوّه رونق الإنسان

واحرقْ تكبّر مُفلس مُتملق ... هذا التكبرُ ثروة الأوثان

أنت الدعيّ ، وليس عندي ريبة ... لكنما هي قِسمة الديان

والله عندي همة وعزيمة ... نبراسُها دُررٌ من الفرقان

أنا ثابتٌ رغم الخطوب ، وقانعٌ ... وكما تراني لستُ بالحيران

وأخي كتاب الله فيه كرامتي ... أنعم بهذا الذكر والتبيان!

فإذا تنكرَ لي الصحاب ، فصاحبي ... أبداً كلامُ الله في القرآن

الشقيقتان

(عاشوا إخوة وأخوات أشقاء من أب واحد وأم واحدة ، في بيت واحد! لهم ذات الآمال ونفس الطموحات وعين الأمنيات! ووحّد الفقر بينهم ، فكانوا عُصبة على من سواهم. وكان الناس يعجبون من أين يأتي أبو الأطفال الستة في مختلف مراحل العمر بالطعام والشراب والغطاء والدواء والإيجار والماء والكهرباء والدروس الخصوصية والتعليم والترفيه؟! وإنها إرادة الله تعالى أنه ذات يوم يسافر أحد الأبناء ، وفيما يبدو كان أخلصهم وأوفاهم ، ولم يكن أخسّهم ولا أحقرهم ولا أنذلهم! وكان فاتحة خير عليهم جميعاً! وما زال يذكر وصية أبيه على محطة القطار: (لا تتركني ، لا تنسني ، إخوتك لا يزالون صغاراً ، وخصّ بالذكر الشقيقتين اللتين هما موضوع القصيدة). فبدأ الابن المسافر في انتشال هؤلاء الأبناء جميعاً ، وأخذ على عاتقه كسر فقر العائلة المنكوبة البائسة في فترة وجيزة ، وكان ذلك كله على حسابه هو! وضحّى بالكثير الكثير من ماله وجهده ووقته ومزاجه وحقوق أسرته (زوجه وولده)! وتغير حال الأسرة فأصبحت تتكلم في البنايات والعقارات التي كانت ترى صورها في الجرائد والمجلات فقط! أو تراها في أيدي مُلاكٍ آخرين من أهل القرية! وبدأ الجميع بأخذ الثأر من رجل هو ابن من أبنائهم وأخ من إخوتهم: فمن سارق لأرضه بالحِيلة ومدلس في عقد الشراء الذي كان ينبغي أن يكون باسمه ، فإذا هو محرر باسم سواه! وتلك أمانة يُسأل فيها وعنها الأب حيث كان كل شيء قد عُهد إليه فيه ، وأخذت مشورته كذلك فيه ، وبوصفه طرفاً وشاهداً ومتعهداً في نفس الوقت بإرجاع المال لصاحبه أو صيانته على الوجه الأمثل! وأخ آخر كان قد سرق كتب أخيه ومراجعه وأشرطته جميعاً ، كأن أخاه هذا قد مات وورثه ذلك الأخ فقط! علماً بأنها كانت أمانة عند الجميع! وتشمت العائلة بأسرها في ذلك المحسن الشهم ، كأنهم يقولون له: لم أحسنت إلينا؟ لم اهتممت بنا؟ لم أصلحت شأننا؟ لماذا كنت شهماً محسناً معنا؟ أما كان الأحرى بك أن تكون نذلاً أنانياً تعيش لنفسك فقط؟ أما كان أولى بك أن تكون وبشاً منحطاً وضيعاً لا يمتد خيره إلى غيره؟ والحمد لله أنه كان ينتظر الأجر من الله أولاً وآخراً! ولكنه كان يتوقع أنهم عندما يُغنيهمُ الله من فضله ، فسوف يعودون عليه بشيء من ردّ الجميل ، إن لم يكن كأخ لهم يحمل اسمهم وينتسب إليهم ، فكغريب سخره الله تعالى لهم ، فاهتم بهم ، واعتنى بشؤونهم ، حتى أدركوا ما هم فيه! وتناقش الشهم المحسن معهم ، وحذرهم من سوء العاقبة وشر المآل ، ولكن كل فرد فيهم صغيراً كان أم كبيراً كان يُناصبه العداء ، وكأن الرؤوس قد تساوت! وكأن المقادير قد

سقطت! وبالطبع لم تكن أوراق تثبت هذه الحقوق ، فضاع كل شيء! وإذا بقطار الأخوة والقرابة يتجاوزهم جميعاً ، فما هؤلاء بالإخوة ولا هم بالقرابة ولا بالمعارف فضلاً عن أن يكونوا أصدقاء! وبرئتْ منهم الأخوة والقرابة كما برئت المعرفة والرفقة والصداقة! واتسع الخرق على الراقع ، حيث أنكر كل طرف الحق ، وتنكر للحقيقة التي إن ضاعت عند الناس ، فلن تضيع عند الله تعالى رب الناس! إن الحال الذي وصل إليه هؤلاء الأشقاء مع شقيقهم أنهم من غير أصحاب المروءة والنبل! كما أنهم من غير أصحاب الاجتهاد في الدين! إن المروءة وحدها حَريّة بأن تقيم مجتمع الكفاية والعدل! فإذا وجد معها التوحيد والعقيدة ، كان ذلك المجتمع مجتمعاً إيمانياً متكافلاً متضامناً متكاملاً! وكان طبيعياً أن تصل العلاقة إلى هذه النهاية بينهم لأنهم للأسف يجمعون إلى صفات الخسة والنذالة كراهية الالتزام بالإسلام كما أسلفنا ، فالدين عندهم حفنة من المناسك وليس له علاقة بالحياة ولا الأحياء بعد ذلك! والتوحيد عندهم هو الربوبية فقط! وإذن فليس لهم لون اجتهاد في الإسلام! وهذا الذي أجهز على العلاقة من طرف أخيهم الشهم ذي المروءة! فالعلاقة من طرفهم انقطعت لأن أخاهم ليس على ما هم عليه من جاهلية وانحراف وبُعد عن الدين وجهل بأحكامه المعلوم منها بالضرورة وغير المعلوم! ويضاف إلى ذلك ثافية الأثافي أنهم يقيسون أخاهم بما يملك! لأنهم يملكون وقد أغناهمُ الله من فضله! وذلك بالقدر الذي أصبح أخاهم فيه أدنى درجة: مالاً وجاهاً وعقاراً وبنايات! وإذن فطبقته لم تعد مثل طبقتهم! وزاد حبات الطين بلة أنهم ربّوا أبناءهم وبناتهم على ذلك! فشب الأبناء والبنات يكرهون عمّهم! أما من ناحيته فليس يرى شيئاً من ذلك! فقط يريد التوحيد والعقيدة ويصالح ويسامح ويعطي ويمنع ويكره ويحب على أساسهما! ذلك لأن المؤمن قد يكون جباناً ، فليس عنده من الشجاعة القدر الذي يستطيع معه نصرة أخيه! وقد يكون المؤمن بخيلاً ، فليس عنده من المروءة والشهامة والنجدة ما يجعله يتجاوز بأخيه فقره وعوزه وحاجته ابتغاء مرضاة الله! ولكن هل يكون المؤمن جاهلياً معرضاً لا يعرف الفرق بين الإسلام والإيمان؟ ولا بين الإله والرب؟ ولا بين الدين والعبادة؟ ولا يعرف من لا إله إلا الله إلا الحروف ، ولا يحقق مضمونها ولا يطبق شروطها فضلاً عن أن يعرفها؟ هذا ليس وارداً على المؤمن أبداً! هل يستوفي المؤمن حياة الجاهلية ويعجب بها ويسترسل في عبادتها من دون الله! ويخاصم ويصالح ويحب ويكره على أساسها؟ ماذا بقي له من الإسلام سوى الانتساب الأجوف الباهت الهزيل الذي ليس له رصيد من الواقع! إنه لا خير في رجل كان جُهال المشركين الأوائل أعلم منه بلا إله إلا الله ولذلك أبوا أن يقولوها! فلا عقيدة وتوحيد وإسلام وإيمان ، بمروءة ونجدة ، فنقول: إخوة مؤمنون أجاويد ذوو شهامة ومروءة ونجدة! ولا عقيدة وتوحيد وإسلام وإيمان ، بدون مروءة ونجدة ، فنقول: إخوة مؤمنون موحدون بخلاء جبناء ، فهم مقبولون

لإيمانهم وتوحيدهم وعقيدتهم أساساً! ولا هم بعد ذلك إخوة ذوو معايير إنسانية بصرف النظر عن التوحيد والعقيدة ، فهم مقبولون في مضمار البر العام والإقساط العام الذي أمر الإسلام بهما مع غير المسلمين! أما إخوة بلا توحيد ولا عقيدة ولا لون اجتهاد في الإسلام ، وبخلاء أشحة أنذال أوباش أنانيون ، فعلى أي منهج نلتقي؟ وفي أي مضمار يمكن أن نتآذر؟ إنها علاقة وئدتْ يوم ولدتْ! كالتي كان الواحد من أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم - يجهر بها لقرابته من غير مِلته: (إليك عني يا أبتاه – إليك عني يا زوجتاه – إليكم عني يا إخوتاه ، فرّق بيني وبينكم دين محمد – صلى الله عليه وسلم -!) يقول الدكتور / خالد الغامدي متحدثاً عن المروءة وأصحابها: (إن مِن أعظم مقاصِدِ بِعثة المُصطفى – صلى الله عليه وآله وأصحابه جميعاً وسلم – أن يُتمِّمَ مكارِمَ الأخلاق وصالِحَ الآداب ، ويُنشِئَ في الأمة النماذِجَ الأخلاقية الراقِيَة ، والمُثُل والآداب السامِيَة التي تَكفَلُ الحياةَ الكريمةَ والسعادةَ ، والعزَّةَ للفرد والجماعة. وإن فروعَ هذه الأخلاق الإسلامية الراقِيَة كثيرةٌ ومُتشعِّبة ، ولكنها تجتمِعُ كلها في أصولٍ عظيمةٍ ، وأركانٍ متينةٍ ، تلتَقِي فيها كلُّ الآداب النبوية والأخلاق المُصطفوية ، وما تعارَفَت عليه العقولُ الصحيحةُ والعاداتُ الحسنة. هذا وإن مِن أعظم هذه الأصول الجامِعة المانِعة: أصلًا عظيمًا يجتمِعُ تحتَه ما تفرَّق ، وينتَظِمُ في سِلكِه ما تشعَّب ، ألا وهو: المُروءةُ. وما أدراكُم ما المُروءة؟! إنها منبَعُ الخيرات ، ومُلتَقَى الآداب ، وعِمادُ الحياة الشريفة الحُرَّة ، وجِماعُ المحاسِنِ والكمالاتِ ، وأساسُ الإنسانية ، وكمالُ الرجولية. بها يتفاضَلُ الرجالُ والنساءُ ، حتى عُدَّ ألفٌ بواحدٍ ، والناسُ كمعادنِ الذهبِ والفضَّة ، وكإبلٍ مائةٍ لا تكادُ تجِدُ فيها راحِلةً إلا مَن كمَّلَ نفسَه بأخلاق المروءة التي تُحِبُّها النفوسُ الكِبارُ ، ويَهِيمُ بها العُظماءُ والنُّبلاءُ ، ويرتفِعُ بها العبدُ في قلوبِ الناسِ وإن كان أقلَّ منهم مالًا وجاهًا. وتلك فِطرةُ الله تعالى التي فطَرَ الناسَ على حبِّ المُروءة ، والاتِّصاف بها ، ورِفعة شأن المُتحَلِّين بها ، لا تبديلَ لخلقِ الله. فِطرةٌ مركوزةٌ في الخليقة والبشرية ، حتى إن النفسَ لتنتَشِي فرَحًا حينما تُوصَفُ بأنها مِن أهل المُروءات ، أو ترى أفعالَهم. وقال – عليه الصلاة والسلام -: «إن الله يرضَى لكم ثلاثًا ويكرَهُ لكم ثلاثًا ؛ فيرضَى لكم: أن تعبُدُوه ولا تُشرِكُوا به شيئًا ، وأن تعتصِمُوا بحبلِ الله جميعًا ولا تفرَّقُوا ، وأن تُناصِحُوا مَن ولَّاه اللهُ أمرَكم ، ويكرَهُ لكم: قِيلَ وقالَ ، وكثرةَ السُّؤال ، وإضاعةَ المال» ؛ أخرجه أحمد ومسلم عن أبي هريرة. وقد لزِمَ هذا السَّنَنَ النبويَّ الرفيعَ صحابتُه الكرامُ – رضي الله عنهم – والتابِعُون لهم ، وأورَثُوه إلى مَن بعدَهم مِن العُلماء والفُضلاء والنُّبلاء الذين كتَبُوا في ذلك الرسائل والكُتُب التي تُبيِّنُ للناسِ آدابَ المُروءة وخِصالَها ، حتى إنهم جعلُوا مِن أهم صِفاتِ راوِي الحديث ومَن تُطلَبُ مِنه الشهادةُ في الأُقضِيات أن يكون مُتحلِّيًا بآداب المُروءة ، مُجتنِبًا خوارِمَها ومُفسِداتها. بل قد حثَّ النبيُّ – صلى الله عليه وآله

وسلم – على التسامُح مع أهل المُروءات ، والعفوِ عن خطئِهم وعثَرَات أقدامِهم ؛ لمُروءتِهم ونُبلِهم ، فقال – عليه الصلاة والسلام -: «تجافَوا عن عُقوبةِ ذوِي المُروءةِ» ؛ أخرجه الطبرانيُّ عن ابن عُمر بسندٍ صحيحٍ. وقال أيضًا – عليه الصلاة والسلام -: «أقِيلُوا ذوِي الهيئاتِ عثَرَاتهم إلا الحُدود» ؛ أخرجه أحمد وأبو داود عن عائشة – رضي الله عنها-. فأهلُ المُروءات مِن العُلماء والفُضلاء وصالِحِي المُسلمين ، لهم فضلُهم ومكانتُهم ومنزلتُهم ، ولا يجوزُ أبدًا أن تُهدَرَ فضائِلُهم ، أو تُطمَسَ مناقِبُهم لزلَّةِ قدَمٍ أو كَبوَةِ جَوادٍ ؛ وما ذاك إلا لشرفِ المُروءة وعلُوِّ كعبِها ، والتي تحمِلُ صاحِبَها وترفعُه وتُزكِّيه ، وإذا بلغَ الماءُ قُلَّتَين لم يحمِلِ الخبَثَ. والله – سبحانه وتعالى – قد احتمَلَ لكليمِهِ مُوسَى – عليه وعلى نبيِّنا الصلاة والسلام – احتمَلَ له إلقاءَه ألواحَ التوراة ، وأخذَه بلِحيةِ أخيهِ هارُون – عليه السلام – يجُرُّه إليه وهو نبيٌّ. وإن المروءةَ خُلُقٌ عظيمٌ ، وإذا نزلَت في جَذرِ قلوبِ الرجالِ والنساءِ أثمَرَت وطابَت بها الحياة ، وسعِدَت الأرواح وهذَّبَت ما في النفوسِ مِن آفات الشُّحِّ المُطاع ، والهوَى المُتَّبَع ، وإعجابِ كلِّ ذي رأيٍ برأيِه. ولا تكادُ تجِدُ امرأً قد تمكَّنَت المُروءةُ مِن قلبِه ورسَخَت إلا كان لله عامِلًا عابِدًا مُطيعًا ؛ لأنه يعلَمُ أن ارتِكابَ المُحرَّمات ، والتساهُلَ في المُنكرات والرِّضا بها مِن أخطر خوارمِ المُروءة ومُفسِداتها. ثم إن أهل المُروءات أصحابُ هِممٍ عالِية ، وإراداتٍ حازِمة ؛ فإنه لم يُرَ أقعَدَ عن المكرُمات مِن صِغَر الهِمَم ، فلذلك تجِدُهم يضرِبُون في كل خيرٍ بسَهمٍ ، ويُسابِقُون في وجوهِ الإحسان ، وهم يستعمِلُون مع الناسِ كلِّهم حُسنَ الأدبِ والخُلُقَ الحسنَ في القولِ والفعلِ ، في الجِدِّ والمِزاحِ ، في السرَّاء والضرَّاء ، في السفَر والحضَر ، في الحبِّ والكُرهِ ، فلا يصدُرُ منهم إلا جميلُ القول والفعل ، كما قال – سبحانه-: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا). ومِن نُبلِهم ومُروءتهم: أنهم يقومون بحوائِجِهم وحوائِجِ أهلِيهم ومَن يعُولُون ، فليس مِن المُروءة أن يُضيِّعَ المرءُ نفسَه وأهلَه وعِيالَه ، ولا أن يجعلَهم عالةً يتكفَّفُون الناسَ ويسألُونَهم. ولذلك فهم يحرِصُون على إصلاح أموالِهم ، ويَنوُون في ذلك نيَّةً طيبةً مِن العفافِ والاستِغناءِ عن الناس ، ونِعمَ المالُ الصالِحُ للرجلِ الصالِحِ. ومِن أجمل صِفاتِ أهل المُروءات: الحِلمُ والرَّزانة ، والتثبُّت والتأنِّي والهُدوء ، والبُعد عن الطَّيش والعجَلَة والنَّزَق والتهوُّر ، وخِفَّة العقل عند حُلول الحوادِثِ والنَّوائِب. وإن مِن خوارِمِ المُروءة: أن يكون المرءُ داعِيةَ شرٍّ وإرهابٍ وفوضَى وفساد ، أو يكون مِن الهَمَجِ الرَّعاع أتباعَ كلِّ ناعِقٍ ، يَمِيلُون مع كل رِيحٍ ، لم يستضِيئُوا بنُور العلمِ والحكمةِ ، ولم يلجَأوا إلى رُكنٍ وثيقٍ مِن الحُكماء الحُلماء ، مِن العُلماء الذين أمرَنا ربُّنا – سبحانه – أن نرُدَّ إليهم الأمرَ مِن الأمن أو الخوف. ولذلك كان مِن صِفات أهل المُروءات: مُجالسةُ الصالِحين ذوِي المُروءة والنُّبل والعقل والحِكمة والبُعد عن مُجالسة الخُبثاء الأشرار الذين سقَطَت مُروءاتُهم في توجُّهاتٍ مُنحرِفةٍ. ومِن أنبَلِ خِلالِ أهل

المُروءات: أنهم يُعامِلُون الناسَ بصِدقِ قلبٍ ، وصفاءِ نفسٍ ، بَعِيدُون عن النِّفاقِ والتلوُّن ، يُحبُّون للمُسلمين ما يُحبُّون لأنفسِهم ، ولا يحمِلُون غِلًّا ولا حسدًا ولا حقدًا للذين آمنوا ، فلذلك يُوفِّقهم الله – سبحانه - ، فيُنجِّيهم مِن مواطِنِ الذمِّ والعيبِ واللَّومِ. والمُروءةُ تحمِلُ صاحبَها على صِيانة نفسِه وحِمايتِها مِن كل ما يَعيبُها ، ويُزرِي بها عند الله وعند خلقِه في كل زمانٍ ومكانٍ فتعلُو هِمَّتُه ، ويصلُبُ عزمُه وحزمُه ، ويبتعِدُ عن كل ما يخدِشُ الإيمانَ والحياءَ مِن الدَّنايا والرَّزايا. وإن مِن أدبِ أهل المُروءات: أنهم يُراعُون الأعرافَ والعادات الطيبة الحسنة عند الناسِ ، ولا يُشهِرُون أنفسَهم بلِباسٍ أو مظهرٍ أو أمرٍ يُخالِفُون به أعرافَ الناسِ الطيبةَ التي تُخالِفُ الشرعَ ؛ لأن مُجاراةَ العُرف الحسَن مِن الأمور المُعتبَرَة شرعًا ، خاصَّةً إذا ترتَّبَ على المُخالفَة مفاسِد ، فإنهم – أعني: أهلَ المُروءات – مِن أحرصِ الناسِ على تأليفِ القلوبِ ، وتطييبِ النفوسِ ، ومَدِّ بِساطِ الأُخُوَّة والمحبَّة ، وتلك شِيَمُ الكِرام أهل المُروءات والنُّبل).هـ. ولا شك في أن الناس يحبون أصحاب المروءات لكرمهم عليهم ورفقهم بهم وإحسانهم إليهم! إن أهل المروءة قد غزوا قلوب الناس بهذه المروءة وبذلك الإحسان! ولا يدرك ذلك ولا شيئاً من ذلك الأراذل الأوباش الوضعاء الأنذال الأنانيون ، الذين شعارهم نفسي نفسي! أو نفسي ومن بعدي الطوفان! تعساً لهم ولما ارتأوْا من القيم الوضيعة الهزيلة التي تُزري بأصحابها إن كان عند الواحد منهم دمٌ أو شعور! والشيخ الدكتور خالد بن عثمان السبت يقول في المروءة: (إن المسلمين قد اختلطوا بغيرهم من الأمم ، وتداخل الناس حتى صاروا إلى ما صاروا إليه ، مما أثر سلباً على كثير من أخلاق المسلمين ، وجعل كثيراً منهم يتحللون ويتخففون من كثير من المؤن التي من شأنها أن يرتفع بها الإنسان ويسمو ، ويكون على حالة مرضية من الأخلاق ، ومقومات الإنسانية ، فهم قد اختلطوا بأقوام لا خلاق لهم ، ولا يرفعون للمروءة رأساً ، ولا شك أن هذه الخلطة تؤثر أبلغ تأثير. والأمر الآخر: وهو ما حصل من غلبة المادة على كثير من المسلمين ، فصار هم كثير منهم أن يحصل بغيته ومطامعه ، ولو كان ذلك على حساب الأخلاق ، ولو كان ذلك على حساب كرامته وشيمته ومرتبته عند الله - عز وجل - وعند خلقه ، فإذا تهافت الناس على هذه المادة ، وصارت شغلاً لهم ، وصارت هي غاية مطلوبهم ، فإنهم بعد ذلك قد لا يرفعون رأساً لمكارم الأخلاق ومحاسن العادات. وهناك أمر ثالث: وهو أن الإنسان مدني بطبعه ، فلا بد له من مخالطة ، وهذه المخالطة تقتضي أموراً يجب عليه أن يفعلها ، من إكرام الضيف ومن الإحسان إلى الأهل والجيران والقرابات ، إلى غير ذلك من الحقوق والواجبات التي يتعين عليه أن يؤديها ، وأن يقوم بها على الوجه المطلوب ، ثم أيضاً لا يخلو الإنسان من أضداد ، ولا يخلو الإنسان ممن يسيء إليه بكلمة أو بفعل أو بغمز أو همز أو لمز أو بغير ذلك. الإنسان مدني جداً بطبعه ، فلا بد له من مخالطة ، وهذه

المخالطة تقتضي أموراً يجب عليه أن يفعلها ، من إكرام الضيف ومن الإحسان إلى الأهل والجيران والقرابات ، إلى غير ذلك من الحقوق والواجبات التي يتعين عليه أن يؤديها ، وأن يقوم بها على الوجه المطلوب ، ثم أيضاً لا يخلو الإنسان من أضداد ، ولا يخلو الإنسان ممن يسيء إليه بكلمة أو بفعل أو بغمز أو همز أو لمز أو بغير ذلك. وأنت تسير في الطريق لربما ألقى عليك إنسان لا يحسب حساباً للكلام لا تليق ، فماذا تصنع؟ هل تنـزل فتكون مساوياً لهذا الإنسان في أخلاقه ودناءته وتقاصره عن المطالب العالية ، وبالتالي تكون قد ساويته. وأنت تتحدث في الهاتف لربما أخطأت الرقم المطلوب ، وابتليت بمن لا خلاق له فسمعت منه ما لا يرضيك ، فهل تتطاول مع هذا الإنسان بالسباب والمشاتمة؟ تكون إذن قد ساويته. لربما ترتبط مع إنسان في عقود ، أو في عهود أو في مبايعات ومعاملات أو شراكة أو غير ذلك ، فترى من ألوان المطل والظلم وأكل حقوق الناس والكذب وإخلاف المواعيد ، فكيف تستخلص حقك؟ وكيف تحرز نفسك من ظلم هؤلاء الذين لا يعبأون بحق ، ولا يرعون ذمة ولا عهداً ، فهل تبقى معهم في حال من المهارشة تنـزل فيها عن مستواك الرفيع فتصل إلى دركات هابطة من أجل أن تستخلص هذا الحق ولو كان حقيراً؟ فأقول: الإنسان بحاجة إلى أن يضبط نفسه في مثل هذه المقامات جميعاً ، فهذا أمر لا بد من معالجته. نحن نرى في كثير من الأحيان والأحوال ، خللاً في مظاهر المروءة في حياة الناس ، في اجتماعاتهم ، وفي معاملاتهم ، وفي مناسباتهم وفي غير ذلك مما يتعاطونه ، فإذا ترك الناس ولم تصوب أفعالهم ، ولم يحصل التواصي الذي أمر الله ـ عز وجل – به ، فإن الناس يسرق بعضهم أخلاق بعض ويتأثرون ، شعروا بذلك أم لم يشعروا ، وكما قيل: الطبع سراق ، والناس كأسراب القطا جبلوا على تشبه بعضهم ببعض ، فإذا تركت هذه المظاهر من غير معالجة ، فإن ذلك لا يلبث أن يتحول إلى خلق لعامة الناس ، ويصير فيه أصحاب المروءات غرباء كالشعرة البيضاء في جلد ثور أسود. والمروءة: مأخوذة من لفظ المرء كما تقول: الفتوة من الفتى ، والإنسانية من الإنسان ، والرجولة من الرجل. وحقيقة هذه المروءة هي أن يتصف الإنسان بصفات الإنسان الحقيقية ، التي يفترق بها عن الحيوان وعن الشيطان ، إذ أن النفس تشتمل على دواع شتى ، في النفس ما يدعو إلى أخلاق الشيطان ، والشيطان يدعو إلى ذلك من الكبر والحسد والعلو والبغي والشر والأذى والفساد والغش وفي النفس ما يدعو إلى الأخلاق البهيمية بالجري خلف الغرائز البهيمية ، والبحث عن اللذات ، كما أن في النفس ما يدعوها إلى أخلاق الملك من العلم والإحسان والنصح والبر والطاعة. فإذا استطاع الإنسان أن يتجرد من داعي الهواء والشيطان والنفس الأمارة بالسوء ، وأن يتخلق بالأخلاق الفاضلة التي تتلاءم مع إنسانيته فينـزع إلى أخلاق الملك ، كما قال بعض السلف ـ رضي الله تعالى عنهم ـ

فإنه يكون بذلك أسمى وأعلى. وهذا السمو الذي حصله والعلو الذي حققه هو حقيقة المروءة ، ولذا فعلى الإنسان أن يسمو عن الأخلاق الهابطة المشينة ، التي لا تليق بالإنسان ؛ ولذا قيل: المروءة هي غلبة العقل على الشهوة ، أي: أن تزم الشهوة بزمام العقل. إن المروءة هي كمال الإنسانية ، وهي الرجولة الكاملة ، وهي ما يسميه العامة في عصرنا الحاضر وبلغتهم الدارجة هي المراجل ، هي ما يقولون عنه ويعبرون حينما ينشئون الصغار ، هي درب الطيب ، هي المكارم ، هي السمو والرفعة والعلو ، في الأخلاق ، هي أن يترفع الإنسان ويتكرم وأن يعلو بنفسه عن أخلاق السفلة ، وعن أخلاق البهائم حيث تتهارش على شهواتها ورغباتها. البهائم جعلها الله - عز وجل - بشهوات من غير عقول ، وجعل الله - عز وجل - الملائكة موصوفين بالعلم من غير غرائز ولا شهوات ، وركب الله - عز وجل - الإنسان فجعل فيه ما ينـزع إلى الشهوات وما ينـزع إلى العلم والضبط والعقل والإدراك والمعرفة ، فهو بحسب ما غلب عليه. المروءة هي جماع مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب ، هي كمال النفس بصونها عما يوجب ذمها عرفاً ، ولو مباحاً ، مما يستقبح ويستهجن من أمثاله. المروءة: أن تستعمل ما يجملك ويزينك وأن تجتنب ما يدنسك ويشينك ، فهي كيفية نفسانية تحمل المرء على ملازمة التقوى وترك الرذائل. هي آداب نفسانية تحمل مراعاتها على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات ، إنها رعيٌ لمساعي البر ورفع لدواعي الضر ، وهي طهارة من جميع الأدناس والأرجاس ، وكل شيء يحمل على صلاح الدين والدنيا ويبعث عن شرف الممات والمحيا ، يدخل تحت هذه المروءة التي تحدثنا عنها. قيل لسفيان بن عيينة - رحمه الله - وهو من السلف الأكابر - رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم -: قد استنبطت من القرآن كل شيء ، فهل وجدت المروءة فيه؟ فقال: "نعم ، في قوله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) ، يقول: ففيه المروءة وحسن الأدب ومكارم الأخلاق ، فجمع في قوله: خُذِ الْعَفْوَ صلة القاطعين والعفو عن المذنبين ، والرفق بالمؤمنين ، وغير ذلك من أخلاق المطيعين ، وذلك في قوله: خُذِ الْعَفْوَ ، ودخل في قوله: وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ صلة الأرحام ، وتقوى الله في الحلال والحرام ، وغض الأبصار ، والاستعداد لدار القرار ، ودخل في قوله: وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ الحظ عن التخلق بالحلم والإعراض عن أهل الظلم والتنـزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة والأغبياء وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة. وأما صاحب المروءة فهو من صان نفسه عن الأدناس ، وما شانها عند الناس ، فحملها على ما يجمل من مكارم الأخلاق ، وأدى حقوق الله - عز وجل - وحقوق المخلوقين ، واجتنب ما يدنس عرضه وشرفه من كل قول وفعل ومقام ، وغير ذلك مما يهبط بالإنسان عن المراتب العالية).هـ. وكنت قد تأخرت في الكتابة عن هذا الموضوع ثلاثة عقود لشيء يريده الله تعالى! وقلتُ: لعل كل واحد

منهم يتذكر أو يخشى! يتذكر الجميل والمعروف ، ويخشى سوء العاقبة التي إن لم تلحقه في الدنيا فوالله سوف تلحقه في القيامة! يوم يقول الله للمظلوم تقدم ويقول للظالم: لا تتكلم! وإنهم يرونه بعيداً ، ونراه قريباً! ومن مات فقد قامت قيامته ، والقبر أول منزل من منازل الآخرة! وعند الله الجبار المنتقم القهار الغالب القدير العزيز القادر تجتمع الخصوم! ولكن لمّا بلغ الأمر منتهاه ، وبلغ السيل الزبى ، ولم أعد أحتمل تطاول أبناء الأبناء الذين لم يشهدوا شيئاً ، فإذا بهم يقطعون بأشياء وأشياء! وكنت أعذرهم صغاراً لأنهم لا يدركون! أما وقد أصبحوا كباراً راشدين يعقلون ويدركون ، فإن الأمر يحتاج إلى مُعلقة عصماء تعيد الحق إلى نصابه ، وتعطي القوس لباريها! وعنونتُ لها بـ: (الشقيقتان) فكأني خصصت ولم أعمم! وهذا لأنني وجدت الشقيقتين أشد ضراوة في الحرب الملعونة الشعواء! فلقد قادتا حرباً ضد أخيهما الأكبر للأسف ، استمرت ثلاثة عقود! وعندهما من الأسرار والكلام والأباطيل والخطط والتلفيقات ما الله به عليم! ولا شأن لنا بشيء من ذلك! إنما العبرة بالأفعال الظاهرة والمآلات الواضحة! والأنثى جبلها الله على الرحمة والشفقة والعطف والحنان واللين ، إلا هاتين الشقيقتين! حيث كانتا في الخصومة ألد ، وفي العداء أشد ، وفي الحرب أعتى ، وفي الانتقام أنكى! وأسأل: لماذا؟ أما كان أحرى بكما التلطيف وبعث روح التفاهم والصلح؟ وأسأل أين حق أخيكما الذي آثركما عن نفسه يوماً ما؟ والعجيب في الأمر أنه كما يقول المثل العربي: (الطيور على أشكالها تقع)! حيث تزوجت كل شقيقةٍ نذلاً لا يساوي في سوق الرجال قميصاً يلبسه أو لباساً يستر به عورته! والأصل أن يقوم زوج البنت بإصلاح ما يتدهور من العلاقات بينها وبين أهلها! هذا إذا كان ابن ناس بالمعنى الشائع المتداول! أما إذا كان وبشاً نما وترعرع في أسرةٍ وضيعة ساقطة من سوق الأسر ، والقيم والأخلاق منها بريئة براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب عليه صلوات الله وتسليماته – فإن الأمر يختلف! حيث يجد ذلك النذل الوضيع الحقير في الخلافات فرصة سانحة ليستأثر بها فريسة وضيعة حقيرة مثله! على أن المثل السيار يقول: (الذي ليس له كبير فليشتر له كبيراً)! إلا أننا نجد الحال قد اختلف مع هاتين الشقيقتين العجيبتين! الكبير موجود فلن يُشترى ومع ذلك كانت البراءة منه! الله أكبر! فأنشدتُ هذه القصيدة حكاية على لسان ذلك الشقيق الأكبر المظلوم ظلماً بيناً لا سبيل لإنكاره! وأعلم أنها لن تؤتي ثمارها عند قساة القلوب الأجلاف غلاظ الطباع من الآباء والأمهات! ولكن ربما كان الأمر على العكس ، عند الأبناء والبنات ممن يريدون الحق! ولربما استفاد منها الآخرون ، حيث تحمل هذه القصيدة من الدروس والعبر والمواعظ الشيء الكثير! وعموماً بذل المعروف من شيم الكرام! والاعتراف بالحق والإشادة بأهل الخير من طبائع ذوي القيم! والأستاذ الفاضل منقذ بن محمود السقار يتحدث عن: (معنى المعروف وأهمية هذه العبادة)

فيقول ما نصه: (المعروف المقصود هنا هو فعل الخير وإسداؤه للعباد ، سواء كان هذا الخير مالاً كالصدقة والإطعام وسقاية الماء وسداد الديون ، أو جاهاً كما في الإصلاح بين المتهاجرين والشفعة وبذل الجاه ، أو علماً ، أو سائر المصالح التي يحتاجها الناس ، كحسن المعاملة وإماطة الأذى وإغاثة الملهوف وعيادة المرضى. أما أدلة صناعة المعروف من القرآن الكريم: يقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون). فقوله: {وافعلوا الخير} أمر يشمل كل خير ، لأنها نكرة في سياق العموم كما يقول النحاة ، وقال تعالى{لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس} ، {وأحسنوا إن الله يحب المحسنين). وأما أدلة صناعة المعروف وتعدد صوره من السنة النبوية: فمن صور صناعته صلى الله عليه وسلم للمعروف ما جاء عن عبد الله بن جعفر قال: فدخل صلى الله عليه وسلم حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جمل ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حنّ وذرفت عيناه ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه فسكت فقال: (من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتىً من الأنصار ، فقال: لي يا رسول الله. فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إليّ أنك تُجيعه وتُدْئبه). أبو داود. ومنه أيضاً شفاعته لمغيث عند زوجته السابقة بريرة ، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه وفيه أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث ، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعباس: (يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثاً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو راجعتِه قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: إنما أنا أشفع. قالت: لا حاجة لي فيه). البخاري. وأما صناعة المعروف عند السلف: فلقد كان السلف رحمهم الله أسرع الناس في صناعة المعروف وبذله ، ومن ذلك ما ذكر من إنفاق الصديق وعثمان والزبير وأمهات المؤمنين وعبد الرحمن بن عوف ، وغيرهم ، وهذا يطول ذكره. ومنه أيضاً صنيع أبي بكر الصديق حين ولي الخلافة ، فكان في كل يوم يأتي بيتاً في عوالي المدينة تسكنه عجوز عمياء ، فينضج لها طعامها ، ويكنس لها بيتها ، وهي لا تعلم من هو ، فكان يستبق وعمر بن الخطاب إلى خدمتها. أُسد الغابة. ولما ولي عمر الخلافة خرج يتحسس أخبار المسلمين ، فوجد أرملة وأيتاماً عندها يبكون ، يتضاغون من الجوع ، فلم يلبث أن غدا إلى بيت مال المسلمين ، فحمل وقر طعام على ظهره وانطلق فأنضج لهم طعامهم ، فما زال بهم حتى أكلوا وضحكوا. الرياض النضرة. ومن صناعة المعروف أيضاً ما ذكر عن علي زين العابدين ، فقد كان أناس من أهل المدينة ، لا يدرون من أين معايشهم ، فلما مات فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل. ولما غسلوه رحمه الله وجدوا بظهره أثراً مما كان ينقله بالليل إلى بيوت الأرامل. سير أعلام النبلاء. وهذا عبد الله بن المبارك

كان ينفق من ماله على الفقهاء ، وكان من أراد الحج من أهل مرو إنما يحج من نفقة ابن المبارك ، كما كان يؤدي عن المديون دينه ويشترط على الدائن أن لا يخبر مدينه باسمه. سير أعلام النبلاء).هـ. وعلى وجه العموم تعتبر خصال الخير من الأخلاق التي جاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليتممها! وكلنا يذكر قوله – صلى الله عليه وسلم -: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وتحت عنوان: (مكارم الاخلاق) يقول الأستاذ محمد مروان ما نصه: (تعتبر الأخلاق هي الضّامن الوحيد لاستمراريّة الحياة على سطح الكرة الأرضيّة بسلام ومودّة ومحبّة ، وهي الضّامن أيضاً لاستمرار النّهضة. فانعدامها يعني الدّمار والخيبة والخسران ، ليس على الإنسان فقط ، بل تنعكس آثارها السّلبية على المجتمع ، بل تؤدّي إلى تضرّر جميع المخلوقات والكائنات وأشكال الحياة أيضاً ، وهي عملية تراكميّة بامتياز ، متنوّعة مصادرها ، فقد يستمد النّاس أخلاقهم من العادات والتقاليد والأعراف المتّبعة ، وقد يقوّم الدّين أخلاق النّاس ، من خلال إضافة الأخلاق الحميدة ، ومحو الأخلاق السّيئة التي نشأوا عليها ، لهذا فالأديان ضرورية جداً للنواحي الأخلاقيّة ، إضافةً إلى وظيفتها الرّئيسية الأخرى ، والمتمحورة حول تعريف النّاس بخالقهم وربّهم المعبود ، وكذلك فإنّ التّفاوت الأخلاقي بين النّاس موجود ، نظراً لاختلاف البيئات التي ترعرعوا فيها ، ونظراً أيضاً لاختلاف أهمّيتها عند النّاس ، فبعض النّاس يضربون بها عرض الحائط ويعتبرونها معيقاً للطموح والتقدّم والنّجاح ، فهم بذلك يدوسون على إنسانيتهم وعلى من حولهم ، حتى يستطيعوا الوصول إلى أهدافهم وغاياتهم الدّنيئة الرّخيصة ، والتي ستسبّب لهم ولمن حولهم الهلاك والخسران. ولطالما عانت الحضارات والبشريّة والدّول والشّعوب من انعدام الأخلاق عند ساستها وقائديها ، ومن يتولون أمورها ويديرونها ، فقد أدّى ذلك إلى طحن العديد من البشر برحى الموت ، وآخرها ومن أكبرها ما حدث في الحربين العالميتين الأولى والثّانية ، من دمار وخراب اجتاح العالم أجمع ، وقضى بسببه ملايين النّاس والبشر).هـ. أيتها الشقيقتان الأنانيتان النذلتان ينبغي أن تعلما أن شقيقكما الأكبر قد بذل الكثير من أجل تربيتكما ، وضحى بالكثير من أجل راحتكما! ولا يصح أبداً أن تقولا: (إنما كان يساعد أباه!) لأن أباه لم يكن بحاجة إليه! إنما بكما كان ذا حاجة بسبب مطالبكما التي أثقلت كاهله! فكيف يدفع ذلك الأخ الأكبر ثمن مروءته اليوم خذلاناً؟ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ لقد حملكما في جملة من حمل بالأمس لتحملوه جميعاً اليوم! ولو كان الرجل يدري نذالتكم وخستكم جميعاً لانشغل بنفسه ومن يعول ، وأعد نفسه ومن يعول لذلك اليوم الذي يكون فيه بحاجة لكم! فهنيئاً للشقيقتين النذلتين الأنانيتين! وإنا لنرى انتصار الله منكما حيث تزوجتما بنذلين حقيرين لا أخلاق عند أحدهما! ولقد تسلط كل منهما على زوجته وأخذ ما أخذ وانتفع على حساب رد جميل الشقيق الأكبر! إن هذه القصيدة قد لا يكون لها صدى

عند قلوب يعبد أصحابها المال من دون الله تعالى! كما لن يكون لها تأثير عند قوم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة! يا ناس إن خلل التوحيد والعقيدة يؤدي لأكثر من هذا ، حيث لا يعرف المعرض - عن تعلم التوحيد والعقيدة – مولاه الحق! ومن هنا تنتكس الموازين عنده! ولذا فخلل المناسك التعبدية يجبره التوحيد الحق والعقيدة الصحيحة! بينما خلل التوحيد لا تجبره صحة المناسك التعبدية ولو أداها صاحبها على الوجه الأكمل! وقد أعذرنا إلى الله بالكتاب وبالشريط وبالقصيدة! وأهديناكم كل الشعر! ولكن لا حياة لمن تنادي لأن الوقار في قلوب هؤلاء المعرضين ليس لله بل للدرهم والدينار! نسأل الله العافية! وأعرف أن شعري لن يغير شيئاً ولكن للعلم!)

لولا الإخاءُ لزدتُ في استهزائي ... ولذِعتُ أسراراً بدون حياءِ!

لولا محبة والدَيَّ لقلتُها: ... بنتاكما أسوا من الأبناء

لولا احتمال التوب يُدرك من غوى ... لوصفتُ ما يجري من الأرزاء

لولا مخافة أن أصير مُلاعناً ... لقبيلتي البدوية العصماء

لولا التحفظ في مخاطبة الورى ... وحُثالة الأنذال والحُقراء

لولا التلطف شِرعتي أمرتْ به ... في شأن قربى المرء والغرباء

لولا احتياطي أن أكون مغالطاً ... لجهرتُ - بين الناس - باستهزائي

وأنا ظلِمتُ ، وذاك يكفي وحده ... للجهر – رغم الأنف – بالأسواء!

لمّا يكنْ سُوءاً يمرّ ويُتقى ... فالنفس كم تلقى من البأساء!

والقلبُ كم يلقى الأذية صابراً ... متغافلاً ، يرنو إلى العلياء!

والروحُ تزدردُ العذابَ رَضية ... وتلوك ما يبقى على استحياء

لمّا يكن ما جئتماه بهين ... يُرديه لومُ العاتب المستاء

لكنه البأساء صُب سعيرُها ... وأحيط بالإهلاك والضراء

وأعانني المولى عليه ، وصانني ... من أن تُمس عقيدتي وإبائي

أوَلـــم نكـــن أبنـــاء بيـــتٍ واحـــدٍ ... مـــا فيـــه مـــن حقـــدٍ ولا شـــحناء؟

آمالنـــا - بـــين الجميـــع - توحّـــدتْ ... ونـــرى كمـــالاً عيشـــة الصـــلحاء

وعلـــى الكفـــاف توجهـــتْ أحلامنـــا ... عـــيش الكفـــاف تطلـــعُ العقـــلاء!

وطموحُنـــا أن لا يفـــارق بعضـــنا ... بعضـــاً ، ففـــي التفريـــق شـــر شـــقاء!

أوَلـــم نعـــان الفقـــرَ يقطـــعُ ســـيفه ... أعناقنـــا مـــن شـــدة البلـــواء؟

أوَلـــم تجُـــع يـــا مُفتـــرون بطوننـــا ... كبطـــون أهـــل الحاجـــة الفقـــراء؟

أوَلـــم تـــدمْ أســـقامُنا ، فتـــذكروا ... إذ لـــم تجـــد – يـــا نـــاس – أي دواء؟

وأراد رب العـــــالمين نجـــــاتكم ... والفضـــل فضـــل الله ذي النعمـــاء

واختـــار مـــن أبنـــائكم عبـــداً لـــه ... ليُقيـــل عثـــرتكم بـــدون عنـــاء

وحمـــاه فـــي ســـفر وفـــي حضـــر ، وفـــي ... نجْـــع اغتـــراب حُـــفَّ بالأعـــداء

فـــأتى ، ومكّنـــه الإلـــه ، وخصـــه ... بـــين الألـــى كـــادوا لـــه بعطـــاء

لـــم ينصـــرم شـــهرٌ عليـــه بطولـــه ... حتـــى حبـــاكم مالـــه بســـخاء

لمّـــا يُســـدد دَينـــه مُســـتأذناً ... مـــن دائـــن هـــو أخبـــث الســـفهاء

إذ لـــم يـــزل فـــي شـــأنه متحكمـــاً ... وكأنـــه أمســـى مـــن الأمـــراء!

وتحمّـــل الشـــهمُ الـــتحكم مـــؤثراً ... عـــدمَ الصِـــدام يقـــوده لتنـــائي

مـــا قـــال: نفســـي والوحيـــدة زوجتـــي ... بـــل قـــال: أهلـــي كلهـــم نـــدمائي

وأبـــي وأمـــي قبـــل أي قرابـــةٍ ... فـــالخيرُ للأمَّـــات والآبـــاء

ولإخـــوتي مـــن بعـــدهم فضـــلُ العطـــا ... حتـــى يعـــيش الكـــل فـــي اســـتغناء

لا يطلبـــون النـــاسَ فضـــلة زادهـــم ... دَيـــنٌ علـــيّ لهـــم ، وذاك وفـــائي

لم يدّخر وُسعاً لكي تتنعموا   دوماً بأكرم حالةٍ وثواء

هو خصّكم بالمَكرُمات جميعها   حتى تعيشوا عيشة السعداء

ما كان أسهل أن يعيش لنفسه   مُتعالياً في غِلظةٍ وجفاء

وأتى ببعض عيالكم عوناً له   وأجاب عاجل أمْركم ونِداء

وهناك قسّم داره ونقوده   متفضلاً بتوددٍ وإخاء

وبكفه صنع السريرَ تكلفاً   وبرغم ضِيق الجهد والآناء

لا (مترَ) لا (شنيورَ) لا (منشارَ) أو   (إزميلَ) ، أو حتى بُعيض غراء!

حتى خيوط الفجر أجْهِدَ صانعٌ   وأصيب - بعد الصنع - بالإعياء

صلى صلاة الفجر في محرابه   متدثراً بالكدِّ والإغماء

حتى أتم صلاته وخِتامها   ومضى لنوم بعد طول بلاء

وأتت إلى الدار الخذولة زوجُه   لتعيش دَور الحية الرقطاء

ولتحرق الدارَ الحصينة نارُها   ويصاب حيٌّ عامرٌ بفناء

أنا ما اعتديتُ لكي ألاقيَ غدرَكم   يا شرَّ أهل فوق ذي الغبراء

وجزاء إحساني استحال عداوة   والغدرُ أصبح والنكال جزائي

ولقيت حق مروءتي وشهامتي   كيداً تدثر - في الدجى - بخفاء

والأرض قد غصِبتْ ، ودُلسَ عَقدُها   ودفاعُنا المصدوقُ مَحضُ هُراء

ما ذنب هذي الأرض تُغصبُ عنوة   ليُقام - فوق الأرض - شر بناء؟

والغاصب المحتال يضحك سافراً   إذ بات ذا بحبوحةٍ وثراء

وشقيقه سرقَ المراجعَ عامداً   بتحايل ، وتلصص ، ودهاء

وشـــــقيقتاه شـــــريكتا عدوانـــــه ... فـــي الـــدس ، والإدنـــاء ، والإقصـــاء

فـــأخ يُقـــرَّب رغـــم ظلـــم شـــقيقه ... وأخ يُجنـــدَلُ فـــي قِلـــىً وجفـــاء

كلتاهمـــا تطغـــى ، وتُمعـــن فـــي العَـــدا ... أفـــلا يُطـــاق العـــيشُ دون عـــداء؟!

إنـــي أســـائل أيـــن حقـــي يـــا غثـــا؟ ... أنـــتم ورب النـــاس شـــر غثـــاء

مهمـــا كـــذبتم ، وادعيـــتم خلتـــي ... مـــا - لادعـــاء البُلـــه - أيُّ بقـــاء

أعطيـــتُ - بـــالأمس القريـــب - مُقايضـــاً ... حتـــى يُـــرَدَ إلـــيّ بعـــضُ عطـــائي

لـــم أعـــطِ مـــا أعطيتـــه مُســـتغنياً ... أنـــى لمثلـــي جُـــودُ الاســـتغناء؟!

والله وسّـــع يـــا غثـــا أرزاقكـــم ... لـــمَ شُـــحكم يـــا أتعـــس الـــبخلاء؟

كانـــت يـــدي الطـــولى ، فلـــم أكُ بـــاخلاً ... متحـــدثاً بعطـــاء ذي النعمـــاء

غجـــرٌ ، ولـــيس لكـــم كبيـــرٌ يُحتفـــى ... بكلامـــه ، ولـــه كبيـــرُ ولاء

أيســـركم حـــالي وضـــيق معيشـــتي ... وتعســـرٌ بُليـــتْ بـــه أبنـــائي؟

هـــذا لأنـــي فـــي الـــورى ضـــيَّعتهم ... لمـــا اتجهـــتُ لقـــوميَ الجُبنـــاء

حتـــى عـــلا بُنيـــانكم فـــي ذي الـــدنا ... مـــاذا تُفيـــد لجوقـــةٍ وُضـــعاء؟

مـــا عُـــذركم ألا تقيلـــوا عثرتـــي ... كـــي لا تثيـــروا وازع البغضـــاء؟

وشـــقيقتاي اليـــوم أرذل شـــامتٍ ... عـــن ســـخطةٍ ، وتعنـــتٍ ، وغبـــاء

أخطـــأتُ إذ بيـــتَّ حُســـن طـــويتي ... وشـــرعتُ فـــي مـــدحي وكيْـــل ثنـــائي

لأخيتـــين إخـــاءُ كـــلٍ خنجـــرٌ ... فـــي القلـــب يســـبحُ فـــي زكـــيِّ دمـــاء

فـــإلى المهـــيمن منهمـــا أنـــا أشـــتكي ... وأزيـــد فـــي مرثيتـــي ودعـــائي

بينـــــي وبينهمـــــا سيقضـــــي ربنـــــا وقضـــاء رب النـــاس خيـــرُ قضـــاء

ربـــاه أنـــت الحـــق ، فـــاحكمْ بيننـــا فـــي هـــذه الـــدُنيا ويـــومَ جـــزاء!

من أرشيفِ الغربة

(اغترب هذا البائس عن أهله لسنوات. فقام بعضُ أهل الأغراض من ذويه بالاستيلاء على كتبه وممتلكاته التي قد تركها عند الأهل أشبه وأقرب ما تكون بالأمانة. فلما رجع رثى للحال وأخذ يقلب أوراق الغربة من أرشيفها. والأصل أن يحافظ الأهل على مُقتنيات ابنهم إن كانوا أهلاً حقيقيين! أما أن تكون ممتلكات الغائب نهباً للسِباع والضواري ، فهي إذن أعراف الغابة وتقاليد الأوابد والوحوش! تلك الأعراف والتقاليد التي لا تحترم ملكيات فردية ولا خصوصيات لآخرين! قول صلى الله عليه وسلم: {أربعٌ من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن ، كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا أوتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر} رواه الشيخان. وأيضاً: {لا إيمان لمن لا أمانة له}.)

غربتـــي طالـــتْ وآذانـــي الشـــقا ... فمتـــى – بـــالأقربين - المُلتقـــى؟

هـــذه الغربـــة أمســـتْ شـــبحاً ... يســـرق العمـــر ، ويزجـــي العَسْـــلقا

ولظاهـــا موقـــدٌ نـــارَ الجـــوى ... والغريـــبُ مـــا لـــه - فيهـــا - بقـــا

بـــاغترابي نـــال كـــلّ إربَـــه ... وأنـــا – وحـــدي - ألـــوكُ المَأزقـــا

عـــذبتني غربتـــي بـــين الـــورى ... كيـــف يحيـــا المـــرءُ يجتـــرُّ الشـــقا؟

وحـــده يبكـــي بـــدمع حـــائر ... بـــات - بـــالأغلال جَبْـــراً - موثقـــا

يفـــتح الأرشـــيف لا يلقـــى ســـوى ... غربـــة تُزجـــي أســـاها منطقـــا

أكلـــتْ عمـــري وبأســـي عنـــوة ... وأعـــارتني - بكـــلٍّ - مزلقـــا

والكتابـــات ثـــوتْ ، تشـــكو النـــوى ... لـــم يجُـــلْ - فـــي خـــاطري - أن تُســـرقا

إذ عليهـــا قـــد ســـطا مســـتهزءٌ ... وعليهـــا بيتـــه قـــد أغلقـــا

ثـــم إنْ عُوتـــب أرغـــى مزبـــداً ... وإلـــى الإنكـــار كـــان الأســـبقا

حـــاز أســـفاري ، بـــلا أدنـــى حيـــا إننـــــي أمقـــــتُ هـــــذا الأخرقـــــا

مســـــتحِلاً كـــل شـــيء كـــان لـــي خائنـــــاً عهـــد الإخـــا ، والمَوثقـــا

وبهـــــذا زاد ضـــــنكا غربتـــــي حـــــاملاً ســـــكينه ، والبيرقـــــا

الحياة أخذ وعطاء

(أوردنا إجمالاً في مقدمة قصيدة (تغير الحالُ أم الخال؟) ، أن العطاء بين الناس عطاءان (عطاء المستغني وعطاء المنتظر أو المقايض). وإنْ هي إلا وجهة نظر لم أقع عليها عند أحدٍ من السابقين ولا من اللاحقين. ولو كان ذلك كذلك لأوردتُ اسمه هنا ، وخلصتُ من حظ نفسي ومن تبعة احتمال كلامي للخطأ. فأما عطاء الكُبَراء وذوي المال والجاه والثراء فهو الذي عنيتُ بعطاء المستغني. فالجواد الكريم يُعطِي ولا يتوقع ردّ العطاء بعطاءٍ مثله فضلاً عن أن يكون أفضل منه ، لِعلمه مُسَبقاً بعدم قدرة المُهدى إليه على فعل ذلك. كما أنه يطمح دائماً إلى التفرّد في العطاء والمنح والإهداء. وإن تكلف المهدى إليه وحاول رد جميل هذا النوع الكريم المستغني من الناس فإنه يكون قد أهانه من وجهة نظره! وتكفي مثل هذا النوع من الأجاويد الكرام أن نقول له: (شكراً وجزاك الله خيراً)! وخيراً هنا نكرة في سياق العموم ، فهي تستوعب كل أنواع الخير. وكأن قائلها يقول له: إن كنتَ قد أكرمتني بخيرك فعند الله الخير كله بجميع أنواعه ، وهو سبحانه القادر على ردّ جميلك عليّ. ويصدق هذا ما قاله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (من قال لأخيه: جزاك الله خيراً فقد أجزل له العطاء). وأما النوع الثاني من العطاء فهو عطاء المنتظر رد الجميل. وهذا النوع عليه أغلب الناس الذين تقوم فلسفتهم على أن الحياة أخذ ورد ، منفعة هي وكذلك انتفاع. وعندما يعجز من يهدى إليه رد الجميل فإنه يكون قد أجزل العطاء إذا اعترف بالفضل لأهله ودعا لهم بـ (جزاكم الله خيراً). أما أن ينتفع سين أو صاد من الناس بخير الصحبة ، ويقيم حياته على الأخذ دون العطاء مع استطاعته ، فهذه أنانية قذرة منتبذة لا يقبلها العقل السليم. وذات يوم تلقيت رسالة من أخ عزيز وصديق حميم لا نزكيه على الله ، وإنما نحسبه هكذا وهو الأستاذ / سمير خميس ، راح يسألني أن آخذ منه ما أريد من المال ، فلقد جاءه فضل مال ولله الحمد. فتوقفتُ عند الرسالة طويلاً ، ورحتُ أقرأها مراتٍ ومرات. إذ إن الرسائل في عمومها تطلب المال أو ما ساواه. لكن هذه تعرض المال على من يريد. واتصلت به بعد حين لأثبت لعل التعبير خانه ، لأن ذوي الحاجات الذين أنا واحد منهم دائماً يخونهم التعبير! ففي مثل هذه الحالات يكون منهم ما كان من الذي أخطأ من شدة الفرح فقال: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك!) فلما اتصلتُ أخبرني بأنه يقصدها. وكنتُ في حاجةٍ إلى شهم يُقرضني بعض المال ، وعدمتُ ذلك الشهم على كثرة مَن أعرفُ من الذين يعبدون المال ، والمهم أنني اقترضت من الأخ سمير ما لم أكن أتوقع ، ودعوتُ له ومازلت أدعو ، أن يُيَسر الله له ويوسع

عليه وعلى أهل بيته ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ووجدتني أنشد في ذلك من شعري فأقول:)

لـك السـبقُ فـي الإكـرام يـا خِيـرة الصـحبِ ... فأغنـاك ـ طـولَ الـدهر ـ مِـن فاقـةٍ ربـي

وأبقـاك ذخـراً للصـحاب ونجـدة ... ولا عشـت يومـاً فـي لظـى موقـفٍ صـعب

وأبـدلك المـولى ـ مِـنَ الضـيق ـ فرْجـة ... ومِـن عُسـرةٍ يُسـراً لمنفعـة الركـب

وعافـاك ممـا نـال غيـرك مِـن أذى ... وصـبّ علـيكم خيـره غايـة الصـب

وأعطـاك مـا لـم تحتسـبْه لحيظـة ... علـى مـا تجـودُ اليـومَ طوعـاً علـى الصـحب

رسـالتك العصـماءُ هـزتْ خـواطري ... فـدفتْ لهـا الأشـواقُ فـي الـنفس والقلـب

وداعبـتِ الآمـالَ فـي روح شـاعر ... فأنشـد فيهـا الشـعرَ مِـن باعـثِ الحـب

فقـد فاجـأتني بالتحايـا وبـالمُنى ... وبالشـيء فـي الأوهـام ، أو عـالم الغيـب

فهـل كـان حُلمـاً أن أطـالع مـا بهـا؟ ... أم احتـارتِ الأحـلام إذ أقبلـت صـوبي؟

تأملتهـا فـي التـو أسـبُرُ غوْرَهـا ... فألفيتهـا تجتـث مِـن داخلـي كربـي

وأسـلوبُها عَـفُ العبـارة وادعٌ ... وألفاظهـا الشـهباءُ تأخـذ باللـب

إلـى كـل معـروفٍ تنـاهى سـياقها ... فكاتبُهـا الميمـونُ مِـن رفقـة الـدرب

مَحَـكّ تلاقينـا الكتـابُ وسُـنة ... وحـبٌ علـى نـور وتقـوى مِـن الـرب

وكنـا تناصـحْنا بكـل صـراحةٍ ... وكـلٌ هَـدَى للحـق خِـلاً بـلا ريـب

وكنـا تعاملنـا بأسـمى نزاهـةٍ ... وشِـدْنا بـلا زيـفٍ ، وقلنـا بـلا كِـذب

وذدْنـا عـن الـدين الحنيـف تعبـداً ... وسِـرنا بـلا كـدٍ ، وعُـدنا بـلا نصـب

وكـم كـان حـولي مِـن رفـاق وشِـلةٍ ... فـذو خصـلةٍ تُـزري بحُـر وذو عُجْـب

ومـا اختـرتُ إلا أنـت خِـلاً مُسـامراً ... يُبـادلني حـب الصـديق بـلا إرب

وإمّـــا ارتكبـــتُ الـــذنبَ آســـى ترهّلـــي بأخـــذٍ علـــى الأيـــدي لأخلـــص مـــن ذنبـــي

واســـأل بـــرأس الخيمـــة الصـــحب كلهـــم يُجيبـــوك أن الجـــد فـــي العـــيش مِـــن دأبـــي

لـــذلك مـــا اختـــرتُ الكســـالى صَـــحَابة وحســـبي مِـــن الهلكـــى مُجـــاملتي ، حســـبي

ويكفـــي (ســـمير بـــن الخمـــيس) مُنادمـــاً لتقـــويم مُعْـــوج ، وتخليـــة العيـــب

مفاجأة انعكاس الحقائق

(قاطع أخاه ذلك السفيه الحاقد ، على ما يزعم رهط من الحمقى بسبب بُغض زوجته لأخيه ، وايم الله لو كان أخاً في الله ورسوله والإسلام ما حدث منه هذا. ولو كان أخاه في العروبة والقومية والعشيرة والدم ما فعل هذا. ما هو أساس الأخوة؟ الاعتصام بحبل الله عز وجل ، وبمنهج الله عز وجل ، وبطريق الله تعالى. والأخوة عبادة ، ولا بد أن نعرف أن الأخوة عبادة من العبادات ، نعم هي عبادة نتقرب إلى الله بها ، مثلما نتقرب إليه بالصلاة أو بالصيام ، أو بالحج. بالدعاء. بالتوكل. فهي شعيرة من الشعائر الجليلة التي وعد الله تعالى عليها فضلاً عظيماً منه عز وجل ، وهي نعمة عظيمة جداً ، نعمة عظيمة لا يحس بها إلا من توافرت فيه شروط الأخوة ، وإلا فأقولها بصراحة: إن كثيراً من الناس اليوم تجده يقول: فلان من أعز أصدقائي ، أو فلان هذا صديق عزيز ، أو فلان هذا كنت أنا معه في السنة الفلانية ، أو في المرحلة الابتدائية ، أو كنا معاً في حارة واحدة ، هذا فلان من أعز أصدقائي ، هذا الكلام ـ صدقاً ـ لا يعني مطلقاً أن هذين الرجلين متآخيان في الله ، لا. فقد تكون العلاقة بينهما هي علاقة تجاذب وتقارب وتوافق نفسي فقط ، اثنان يرتاحان كل في صاحبه ، أما الأخوة في الله فهي مسألة أعلى من ذلك بكثير ، فهي مراتب وصفات لا يحس بها إلا من عرفها وذاق طعمها. ولا تفسِد هذه العلاقة الحميمية بين الأخوين لا زوجة ولا جارة ولا شقيقة ولا قريبة ولا بعيدة ، ولا أهل الأرض جميعا! ومن هنا برزت مفاجأة للأخ المخلص ، ألا وهي مفاجأة انعكاس الحقائق ، حيث انقلبت الأخوة إلى عداوة وكراهية وبغضاء. والله المستعان على الخذلان وأهله. يقول الأستاذ مصطفي قاسم عباس في مقال له عن الأخوة ما نصه بتصريف: (الأُخُوَّةُ الصادقة كلمةٌ أريْجُها يعطّر الأرجاء ، وعبارةٌ تفيض بالحُبِّ والإخلاص والوفاء. أُخوةٌ من غير نَسَبٍ ، وصداقةٌ لا تعرف الخداع ولا الزيف ولا الكذب. حُبٌّ في الله ، وإخاءٌ لا لمصلحةٍ من مالٍ أو منصبٍ أو جاهٍ. لكنْ ، يبقى السؤال: هل افتقدنا هذه الكلمة في أيامنا؟ أم نحن كالذين سبقونا ، بحثوا عنها فلمْ يجِدوها ، وجعلوا الخِلَّ الوفيَّ ثالثَ المستحيلات. وقد تلتقي بإنسانٍ لأول مرةٍ ، فيغمرك إحساسٌ بأنك تعرفه منذ زمن بعيد ، ويدخل قلبَك من غير استئذانٍ ، والعكس صحيحٌ ، وما ذلك بعجيبٍ ، فإنّ روحك قد ألفَتْ روحَه ، أمّا الثاني الذي لم تستسغه ، فربما يكون في روحَيكُما تنافرٌ لا إراديٌّ ، إما أن يقوَى مع مرور الزمن وبعد التجربة والمعرفة ، وإمَّا أن تحصل الألفة فيما بعد ، وعلى كلِّ حالٍ ، حديثُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم واضحٌ في ذلك وصريحٌ ، حيث يقول: (الأرواحُ جنودٌ

مجندةٌ ، فما تعارفَ مِنْها ائتلَفَ ، وما تَناكرَ مِنْها اختلَفَ). (صحيح ابن حبان باب: ذكر الإخبار عن سبب ائتلاف الناس وافتراقهم). إنّ الأخ الصادق ، والصديق الصدوق يظفر به الإنسان عندما تبنى هذه الأخوةُ والصداقة على محبة الله ، لذلك جعل الله تعالى من السبعة الذين يُظلُّهم في ظِلِّهِ يومَ لا ظلَّ إلاّ ظِلُّهُ كما في الحديث الصحيح: (...ورَجُلينِ تَحَابَّا في اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ). (رواه البخاري). فالمحبة في الله هي التي تبقى ، وسِواها يتلاشى ويضمحلُّ ، والذي يحبُّ إنساناً ما لِمالِهِ ، فإنه لا يحبه لشخصه ، بل يحب المال الذي في جيبه ، لذلك عندما يصبح فقيراً ينفضُّ عنه الناس. وكذلك الذي يحب إنساناً لمنْصبه ، فهو لا يحبه لشخصه ، بل للمنصب الذي يتسلَّمه! وعندما قيل لبعض الولاة كم لك من صديق؟ فقال: أمّا في حال الولاية فكثير. ولما نُكِب علي بن عيسى الوزير لم يَنظَرْ ببابه أحداً من أصحابه الذين كانوا يألفونه في ولايته ، فلما رُدَّت إليه الوزارة ، وقف أصحابه ببابه ثانياً.)هـ. وإذن فالأخوة الحقيقية ليست بالادعاء الأجوف العاري عن الحقيقة! إنما هي بذل وعطاء! يقول صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ». (متفق عليه). ويقول: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (متفق عليه). ويقول: «مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ وَأَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَنْكَحَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ». (رواه الترمذي). ومن هنا فقد ثبتت رابطة الأخوة بين المؤمنين الموحدين بقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}. فمفهوم الأخوة الإسلامية أنه امتداد لمحبة الله تعالى وتوحيده. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمَ؟ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي». (رواه مسلم). فالمحبة والموالاة للمؤمنين هي لازم من لوازم محبة الله وأبجدية من أبجديات موالاته ، فمن أحب الله ولله وفي الله لا بدّ أن يحب من يحبه الله سبحانه وتعالى ومن يقرب من الرسل والصديقين والمؤمنين. يقول الله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ). وإلا يكن ذلك كذلك فلا أخوة هنالك ولا إخاء! أكتب من السريع!)

بـــان الهـــوى والقصـــدُ والهـــدفُ — والنـــذل عمـــا قـــال يختلـــفُ

يـــا صـــاحبي عنّـــتْ حقيقـــتكم — والغِـــر بالخـــذلان متصـــف

لا تعكـــس الحـــق الـــذي انبلجـــتْ — آياتـــه ، فالنـــاس قـــد عرفـــوا

لا تنكـــأ الجـــرح الـــذي انقهـــرتْ — آلامُـــه ، فالكيـــدُ منكشـــف

أنـــا الـــذي أســـرفتُ فـــي ثقتـــي … واليـــوم يـــا دهقـــان أعتـــرف

أمســـــت أحاديثـــــاً أخوتنـــــا … كـــم جُـــدثُ ، والطمـــاعُ يغتـــرف!

يـــا حاقـــداً ، هـــذي أنانيـــة … فـــي رجســـها تشـــقى وتنجـــرف

والـــزوج فيمـــا تـــدَّعي كـــذبتْ … إذ إنهـــا بـــالزيف تعتلـــف

أنـــتَ الـــذي أفســـدتها ، فطغـــتْ … كـــم غرهـــا التيســـيرُ والتـــرف!

كفكـــفْ دمـــوع الـــزور إن لنـــا … أهـــلاً علـــى أشـــلائنا وقفـــوا

يـــا صـــاح أشـــمتَ العِـــدا زمنـــاً … والصـــحبُ ممـــا تفتـــري انصـــرفوا

يـــا صـــاحبي جمّـــد علاقتنـــا … فـــالعمر يـــا خـــرّاص ينتصـــف

إن لـــم تكـــن وفيـــتَ فـــي صـــغر … فـــي الشـــيب هـــل تعفـــو وتـــأتلف؟!

لا خيـــرَ فـــي نـــذل يناصـــبنا … مُـــر الأذى ، والظلـــمَ يقتـــرف

دمعة

(قرأ أحد القراء من سورة (يوسف) – عليه السلام - إلى أن وصل قوله: (وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) ، فانفعلتُ إذ لم ألق من إخوتي الأشقاء غير ما لقي يوسف من إخوته من أبيه. فدمعتْ عيناي دمعة توجع. قال المعتمر بن سليمان: (إن الرجل يُصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته). قال ابن الجوزي: (نظرتُ في الأدلة على الحق سبحانه فوجدتها أكثر من الرمل ، ورأيت من أعجبها: أن الإنسان قد يُخفي ما لا يرضاه الله. فيُظهره الله عليه ولو بعد حين! ويُنطق الألسنة به ، وإن لم يشاهده الناس. وربما أوقع صاحبَه في آفةٍ يفضحُه بها بين الخلق ؛ فيكون جواباً لكل ما أخفى من الذنوب ، وذلك ليعلم الناس أن هنالك من يجازي على الزلل ، ولا ينفع من قَدَره وقدرته حجاب ولا استتار). وكانت قصيدتي دمعة عيني!)

دمـــعُ عينـــي يرثـــي لحـــال الأشـــقا ... إن للـــدمع - فـــي مراثيـــه - حقـــا

والجـــراحُ كـــم أورثتنـــي همومـــاً! ... والعتـــابُ كـــم أورث القلـــب ضَـــيْقا!

كـــم لقيـــتُ مـــن حُرقـــة ومَـــرار ... مـــن أنـــاس فـــي حَمـــأة الخـــذل غرقـــى!

حطمـــــوني بخـــــذلهم دون حـــــق ... كـــم كـــريم - بالخـــذل - يعيـــا ويشـــقى!

كـــم بـــذلتُ للكـــل ، لمَّـــا أقصِّـــرْ! ... والجميـــلُ - عنـــد الأجاويـــد - يبقـــى

كـــم تفضـــلتُ ، كـــي يعيشـــوا كِرامـــاً! ... مـــا أقمـــت - بـــين الأشـــقاء - فرقـــا

غربتـــــي زادت بالأشـــــقاء ضـــــنكاً ... وأرانـــــي مازلـــــت ألقـــــى وألقـــــى!

كنـــــتُ أنـــــوي أخـــــوّة لا تبـــــارى ... وانطلاقـــاً - بـــالود - غربـــاً وشـــرقا

واعتصـــاماً بالشـــرع يُهـــدي المعـــالى ... وانتصـــاراً للـــدين يخفِـــقُ خفقـــا

والتزامـــاً بـــالحق يختـــال فخـــراً ... يســـحق الأعـــداء المُضـــلين سَـــحقا

واتباعـــاً للـــوحي فـــي كـــل شـــأن ... واحترامـــاً يفـــيض حُبـــاً وشَـــوقا

فـــإذا بـــي ألقـــى عَـــداءً وكيـــداً واحتقـــاراً ألقـــاه - فـــي الـــدرب - حمقـــى

محنتـــي فـــيهم ، فـــي الهُـــدى والســـجايا مَـــن رآهـــم يقـــول: ليســـوا أشِـــقا

رُبَّ شـــهم يكـــون للمـــرء عَونـــاً هـــو خيـــرٌ دينـــاً ، وأوسَـــعُ أفقـــا

قد عرفتُ الطريق

(مجموعة أشقاء أخلدوا إلى الأرض ، واتبعوا أهواءهم إلا واحداً آثر طريق الحق ، فراح يُصرّح لهم أنه عرف الطريق. والأصل أن لا يكون الأشقاء كذلك في دارهم ، فما بالنا إن كانوا في دار غربةٍ ومذلة؟! فتخيلت ذلك الشقيق الذي أمسى يغرّد خارج السرب وبعيداً عن الدار ، وينادي أمواتاً غير أحياء هم أشقاء له ، ويعاتب دهراً لا يلين لعاتب عندما يزعم أن واحداً منهم يُصغي لعتابه ، ويرثي لحاله ويبكي لبكائه. تخيلته يهتف قائلاً: لقد عرفتُ الطريق الذي يجب أن أسلكه في غربتي ، وهو أن أعيش وحدي متفيأ ظلال التوكل على الله وحده في تلك الغربة القاسية! ذلك أن الوحدة في هذه الحال خير من عِشرة قوم متخاذلين أشحة على الخير!)

ألا قـــد كفـــاكم تُرَّهـــات وجعجعـــة ... فلســـتُ أرى ـ فيمـــا تقولـــون ـ منفعـــة

(أشِـــقاءُ) هـــذي فـــي البطاقـــات دُوّنـــتْ ... ولكـــن مثلـــي لـــيس ـ فـــي القـــوم ـ إمعـــة

أناصـــحُ لـــو تـــدرون معنـــى نصـــيحتي ... لعشـــنا جميعـــاً فـــي رخـــاءٍ ، وفـــي دَعـــة

ولـــم أدّخـــر نصـــحاً يُصـــفي نفوســـنا ... فقـــال فريـــقٌ: يمـــلأ الـــدار قعقعـــة

وقـــال فريـــقٌ: دربُـــه لا تروقنـــا ... وإن ســـاق أشـــقانا البـــراهينَ مقنعـــة

وقـــال فريـــقٌ: يـــؤثر الحـــق منهجـــاً ... وهـــذا الـــذي أغـــرى بـــه ، ثـــم ضـــيَّعه

وقـــال فريـــقٌ: لـــو ســـمعنا كلامـــه ... لضِـــعنا ، ومَـــن يقـــوى علـــى الـــذل والضـــعة؟

وقـــال فريـــقٌ: لـــيس يَرضـــى بحالنـــا ... لنـــا أدؤرٌ شِـــيدتْ ، وللشـــهم صـــومعة

ولا ، والـــذي لـــم يخلـــق الخلـــق غيـــره ... أراكـــم أصـــبتم كـــل زور وجعجعـــة

ألا إننـــي أبصـــرتُ دربـــي وغـــايتي ... ونفســـي لهـــذا الحـــق ـ والله ـ طيّعـــة

فـــلا تحســـبوني فاقـــد الحـــس مـــثلكم ... ألـــوكُ خـــواري إن بُليـــت بمعمعـــة

ولـــيس شـــجاع القـــوم مثـــلَ جبـــانهم! ... كمـــا أن ليـــث الغـــاب لـــيس كضـــفدعة!

ألا إننـــــي أدركـــــتُ رشـــــدي ومـــــأملي   فخلـــوا ســـبيلي ، إننـــي اليـــوم فـــي ســـعة

ومـــا أنـــا مـــنكم ، فاعلموهـــا صـــراحة   وقلبـــــي قـــــلا ممـــــن أهـــــانوه أربعـــــة

فأين المعالي؟

(إذا كانت الأخوة مسمى فقط ، وزيارات صورية وشكلية في المناسبات ، دون تحقيق الركن الركين في الأخوة والذي نجده في قول النبي – صلى الله عليه وسلم -: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ، فإنها والحال هكذا تصبح أخوة زائفة جوفاء لا قيمة لها. ويكون الأغراب لهم من الاحترام ما ليس للإخوة. إذ الأخوة في حقيقتها بذل وتفان وعطاء وتضحية. إن أخاً يلود كما تلود رقيعات النساء إن كان يريد شيئاً من أخيه ، حتى إذا انقضت حاجته مرّ كأن لم تكن بينه وبين أخيه أرجى مودة ولا أخوة ولا أدنى معرفة ، إن أخاً هذا شأنه لا يستحق أن ينتسب مجرد الانتساب إلى الأخوة. الأخوة معالي أمور ومعالي قيم وأخلاقيات. فإذا فرّغتْ من حقيقتها ومضمونها فليس ثمة أخوة! وعموماً الأنذال لا يصافيهم ولا يصاحبهم إلا الأنذال الذين هم على منهجهم وطريقتهم. أما الكرماء ذوو القيم والمبادئ والبذل فلهم أصحاب يشبهونهم في منهجهم! وكما يقال: (الطيور على أشكالها تقع!)

تـــا الله مـــا الأتـــراحُ كـــالأفراحِ! شـــتّان بـــين الليـــل والإصـــباح!

إن الإخـــوة إن تمـــرق وصْـــلها ليســـت تخاطـــب عـــالم الأرواح

وأخـــوة الأنـــذال عـــارٌ يُتقـــى فمـــن الـــذي يئـــد الإخـــا ويُلاحـــي؟

أيـــن المعـــالي فـــي أخـــوة أرذل متملـــق مســـتعطفٍ مِلحـــاح؟

إمـــا أراد الشـــيء كـــافح دونـــه أبـــئسْ بشـــر مُكـــافح وكِفـــاح!

يتملـــق الأخ فـــي تزلـــف مُعـــدِم! ويجـــدّ فـــي التدشـــين والأمـــداح!

ويسِـــحّ مُلتاعـــاً دمـــوع مُضـــيّع ويُضـــيف للآهـــات بعـــض نـــواح

حتـــى إذا نـــال الخســـيسُ مُـــراده أو حقّـــق المـــرذولُ بعـــض نجـــاح

نكِـــر الجميـــل ، وكـــاد للشـــهم الـــذي يومـــاً أعـــان بهمـــةٍ وطِمـــاح

ومضـــى يُبـــاهي النـــاس بالخـــذل الـــذي هـــو طبعُـــه ، يـــا ويـــح هـــذا اللاحـــي!

ويقـــول: حققـــتُ المـــآربَ كلهـــا   بالختـــــل والتلفيـــــق والإلحـــــاح

إن الأخـــوة مـــن صـــنيعكِ تســـتحي   يـــا لاعبـــاً بـــالزيف شـــر ســـلاح

ولقـــد عرفتـــكَ بعـــد طـــول تـــربص   شـــتان بـــين الشـــهم والســـفاح!

نعـــم الوكيـــلُ اللهُ حســـبي وحـــده!   ولســـوف يَشـــفي الله كـــل جراحـــي

عند الله!

(أكرمَ أناساً كثيرين ، ونفعهمُ الله تعالى على يديه! وبعد حين أدرك أنهم لا يستحقون ما بذل لهم! فندمَ على معروفه ندماً شديداً! فقلتُ له: إن ضاعَ معروفك عند الناس ، فلن يضيع عند الله!)

عنـــــد اللهِ الخيـــــرُ ســـــيبقى ... لمُروّجـــــهِ العبـــــدِ الأتقـــــى

فـــــيم القلـــــقُ علـــــى ضَـــــيعتهِ؟! ... لـــــو فقِـــــهَ العبـــــدُ لمَـــــا قلِقـــــا

أحســـــنت فـــــلا تنـــــدمْ أبـــــداً ... مَـــــن ينـــــدمْ يســـــتجدِ النزقـــــا

لـــــو كنـــــت بخـــــيلاً مـــــا بـــــذلتْ ... كفُـــــك إبريـــــزاً ، أو وَرِقـــــا

بـــــل كنـــــت كريمـــــاً وســـــخِياً ... تمـــــنحُ لا تنتظـــــرُ المَلقـــــا

ونفعـــــت الغيـــــرَ بـــــلا طلـــــب ... وكـــــذلك يصـــــنعُ مَـــــن رَفقـــــا

ونصـــــحت ، ونصـــــحُك أرشـــــدَهم ... والمـــــولى مَـــــن جـــــاد ، ورزقـــــا

ووعظـــــت ، فلـــــم تكـــــتمْ وعظـــــاً ... والـــــبعضُ بوعظـــــك قـــــد ســـــبقا

والـــــبعضُ بوعظـــــك لـــــم يأبـــــهْ! ... معـــــك المُســـــتغفلُ مـــــا اتفقـــــا

فاستبشـــــرْ خيـــــراً ، وتمهّـــــلْ ... فـــــي الحُكْـــــم ، وكـــــنْ أوســـــعَ أفقـــــا

إن فـــــؤادك عشِـــــقَ الحُسْـــــنى ... والقلـــــبُ بطِلبتهـــــا خفقـــــا

وجوارحُـــــك تجـــــودُ وتُعطـــــي ... والأجـــــرُ الـــــوافرُ يتبقـــــى

وشـــــعورُك أنْ صـــــرت الأســـــمى ... مهمـــــا كـــــاد الشـــــرُ ، وشَـــــرِقا

عنـــــد الله الأجـــــرُ ، فصـــــدّقْ! ... أفلـــــحَ مَـــــن فـــــي المِنحـــــة صـــــدقا!

إن ضـــــاعَ الأجـــــرُ بـــــدنيانا ... إن الأخـــــرى الخيـــــرُ وأبقـــــى

ســـــتقول: الأنـــــذالُ جَفَـــــوْني! ... وتقـــــول: المُتخـــــرّصُ ســـــرقا!

وتقـــــول: الراصـــــدُ حَقرنـــــي ... وإلـــــى مـــــالي النظـــــرَ اســـــترقا!

وتقـــــول: الحاقـــــدُ ســـــربلني ... وعلـــــى أهلـــــيْ عُيونـــــاً دفقـــــا!

وتقـــــول: الحاســـــدُ جنـــــدلني ... وإلـــــى بيتـــــي جـــــاسَ الطرُقـــــا!

وأخ حُسِـــــبَ علـــــيّ شـــــقيقاً ... وأراه – علـــــى التحقيـــــق – شـــــقا!

يـــــزعمُ أن نلتقـــــيَ وننســـــى ... وهْـــــو الآكـــــلُ لحمـــــي مِزَقـــــا!

كيـــــف أوْاخـــــي مَـــــن حطمنـــــي؟ اغـــربْ عـــن وجهـــي! لـــيس لقـــا!

لـــــم يبـــــقَ إخـــــاءٌ يجمعنـــــا قـــل: هـــل - لإخـــاء النـــذل - بقـــا؟!

وكـــــذا أخـــــتٌ لـــــيس تُســـــاوي ألـــــفَ (الأخـــــت) إذا مـــــا نطِقـــــا!

أخـــذتْ مِـــن مـــالي مـــا أخـــذتْ وأنـــا سُـــقتُ خيـــوري سَـــوْقا

ســـــتقول: العائلـــــة تخلـــــتْ وأنـــــا أمقـــــتُ هـــــذا الخلقـــــا!

والقـــــومُ جميعـــــاً مـــــا بـــــذلوا بـــــل كـــــانوا – فـــــي الخيبـــــة - غرقـــــى

شـــــمتوا ، أو خـــــذلوا ، أو هزلـــــوا تلـــــك فعـــــالُ القـــــوم الحمقـــــى

عنـــــد الله ســـــنبعثُ يومـــــاً ويُحَصّـــــلُ ذو الحـــــق الحقـــــا!

والظـــــالمُ لـــــن يلقـــــى ســـــنداً ســـــيُعاني الكربـــــة والأرقـــــا

ســـــلمْ يـــــا رب نوايانـــــا والأعمـــــالَ لكـــــي لا نشـــــقى!

نحـــــذرُ أن نغـــــرق فـــــي الســـــوآى وعلـــــى الأنفـــــس نخشـــــى الغرقـــــا

منـــــك إليـــــك نفـــــرُ سِـــــراعاً حسُـــــنتْ نفحاتُـــــك مُرتفِقـــــا

نعشـــــقُ تشـــــريعك نلزمُـــــهُ ونزايـــــلُ – فـــــي الـــــدرب - الفِرَقـــــا

لســـــنا مـــــنهم ، ليســـــوا منـــــا يخســـــرُ مَـــــن بـــــالفِرَق التحقـــــا

أعنـــــي فِـــــرق البـــــدع انتشـــــرتْ تســـــتهجنُ دينـــــاً وتُقـــــى!

ألهمْنـــــا يـــــا رب رشـــــاداً يُقـــــري البصـــــرَ إذا مـــــا برقـــــا

يُطفـــــئ نـــــار البـــــدع اشـــــتعلتْ ويلـــــي مَـــــن بالبـــــدع احترقـــــا

عنـــــدك وحـــــدك خيـــــرُ الـــــدنيا والآخـــــرة ، وأنـــــت الأبقـــــى

عنـــــدك نشـــــكو الجيـــــل تـــــردّى وعـــــن الحـــــق الثابـــــت فســـــقا

فـــــي كـــــل مكـــــان نعلنهـــــا لا نخشـــــى بطشـــــاً أو فَرَقـــــا

عنـــــد الله تكـــــون الحُســـــنى! عنـــــد الله الخيـــــر ســـــيبقى!

فأين الفضلُ إذن؟

(من أداب المُداينة في الإسلام الأدب في الطلب والحُسن في الأداء. ولكن عندما يصبح الدينار في قلوب الدائنين يتغير الوضع وتنقلب المعايير. فأما دائن قصيدتنا فيطلب حقة بأدب واحترام ، وبعد صبر طويل جميل على مدينه المُعسر. وبقي في ذمة المدين من مبلغ كان مقداره 52900 درهم بقي منه فقط ألف وسبعمائة. ويطلب تأجيلها إلى ميسرة ، ولا يرضى الدائن بل يتعسف للحد الذي معه يبيع المدين ملابسه وكتبه ونعاله وسراجه ، فالذي قيمته ألف يباع بمائة. وأسأل: فأين الفضل إذن؟ وقد روى البخاري من حديث جابر – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى). وروى أحمد بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (دخل رجل الجنة بسماحته قاضياً ومقتضياً). وبناء على كل هذا فإنه يجب على المسلم أن يُحسن ويتأدب في الاقتضاء ، ولا يكلف مَدينه أن يبيع ما يملك ليؤدي الدين ، فيكون بيعه للذي يملكه بيع تلجئةٍ تبخس فيه القيمة ، ويضطر المدينُ للقبول حتى يحصل على المال الذي به يؤدي الدين الذي عليه. عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كنت أخدم رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم كلما نزل ، فكنت أسمعه يكثر أن يقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ). والمعنى: (وضلَعَ الدين): أي شدّته وثقله مع عدم قدرة المدين على أدائه ، حتى يميل صاحبه عن الاستواء والاعتدال ؛ فلهذا استعاذ منه صلى الله عليه وسلم لما فيه كذلك من شغل العبد عن القيام بالعبادة على الوجه الأكمل ، والوقوع في المحذورات الشرعية ، مثل: الإخلاف في الوعد ، والوقوع في الكذب. أنشدتُ في هذا من شعري أقول حاضاً على الفضل وآمراً به ، ومُنفراً عن الجبر والاعتساف في الطلب ناهياً عنه!)

الفضـــلُ يُـــورث عِـــزة وصَـــلاحا ... ورِحابُـــــه تستأصـــــلُ الأتراحـــــا

وصَـــنائعُ المعـــروفِ تنفـــعُ أهلهـــا ... والرفـــقُ يهـــدي – للنفـــوس - سَـــماحا

لا شـــيء كالتيســـير يُـــبهجُ عيشـــنا ... ويُقـــيمُ - فـــي أصـــقاعنا - الأفراحـــا

والـــدَّينُ عـــاتٍ ، والمطالـــبُ جَمّـــة ... والضِـــيقُ يُزجـــي الهـــمّ والأتراحـــا

هـــو بالنهـــار مَذلـــة ، ومَهانـــة ... كـــم خمشـــتْ - عنـــد اللقـــاء – جراحـــا!

وأراه - بالليـــل البهـــيم - كآبـــة ... والعـــينُ تـــذرفُ دمعَهـــا الســـحّاحا

وكـــم اســـتدان عزيـــز قـــوم فـــاعتلى ... مَـــتنَ الإهانـــة غـــدوة ورَوَاحـــا!

فـــإذا بـــه - بعـــد الكرامـــة - واجمـــاً ... إذ لـــم يعُـــدْ - بـــين الـــورى - مرتاحـــا

يُؤذيـــه وخـــز الـــدّيْن حـــان سَـــدادُه ... فيَـــروغ - منـــه - عشـــيّة وصَـــباحا

والـــدائنون - إليـــه - ســـاقوا جُنـــدَهم ... والكـــــل يحمـــــلُ جُنـــــة وسِـــــلاحا

مـــــاذا وراءكُـــــمُ؟ أحـــــربٌ أوقِـــــدتْ ... نيرانهـــا ، والكيـــدُ يغـــزو الســـاحا؟

أمْ جحفـــــلٌ والعاديـــــاتُ تحوطـــــه ... وتصـــولُ - للفـــتح المبـــين - ضِـــباحا؟

أوَلـــيس دَيْنـــاً مـــا اســـتطاع مَدينـــه ... كـــــل الأداء ، فلـــــيس ذاك متاحـــــا؟

وهـــل البقيـــة - بالشـــقاق - جـــديرة ... حتـــى نـــرى - فـــي الاقتضـــاء - صِـــفاحا؟

حتـــى يبيـــعَ مَـــن اســـتدان لباسَـــه ... وكتابَـــــه والنعـــــلَ والمِصـــــباحا؟

الفضـــلُ أيـــن؟ وأيـــن رحمـــة دائـــن ... أعطـــى وأنظـــر ، لا عليـــه جُناحـــا؟

والرفـــقُ أيـــن؟ وأيـــن تيســـييرُ الألـــى ... أعطـــاهمُ المـــولى تقـــىً وصَـــلاحا؟

وهـــل المَـــدينُ بـــبعض مـــا أدى اكتفـــى ... ونـــأى بجانبـــه لكـــم ، وأشـــاحا؟

أم قـــال: أمهلنـــي ، وذا فـــي ذمتـــي ... وعلـــى الوفـــا أنـــا أشـــهدُ الفتاحـــا؟

هـــل هـــذه أسُـــسُ المُداينـــة التـــي ... هـــي - فـــي الكتـــاب - تخاطـــبُ النصـــاحا؟

هـــيَ - فـــي كِتـــاب الله - أطـــول آيـــة؟ ... واســـتنطقوا الكُتـــابَ والشُّـــرّاحا

عـــودوا إلـــى القـــرآن يحكـــمُ بيننـــا ... إذ أفصـــحتْ آياتـــه إفصـــاحا

كـــيلا أعـــذب مَـــرتين ، وأرعـــوي ... للغـــمّ يَأســـرُ خـــاطري الصّـــدّاحا

ذلان: ذلُ الـــدَّين سَـــربلَ عِزتـــي ... والعـــيشُ ليـــلٌ فـــارقَ الإصـــباحا

والـــدائنُ المِغـــوارٌ ذلّ شَـــرْطه ... وكـــأن - فـــي ســـرد الشـــروط - رِماحـــا

تـــا الله إنَ الـــدَيْن أحنـــى هـــامتي ... لمّـــا عجـــزتُ ، ومـــا اســـتطعتُ كِفاحـــا

يـــا رب جنبنـــا الـــديونَ وذلهـــا ... إذ تُعقِـــبُ الآهـــاتِ والأنواحـــا

مِن سلبيات الغربة

(اغتربَ هذا العفيفُ الشريفُ ، فلما عاد إلى دياره بعد عقود ، وجدَ نفسه على هامش الحياة لا يعرف أحداً ولا يعرفه أحد! فلا الناس بالذين يعرف ، ولا الأرض بالتي يعرف! فعانى غربة في دياره أشد وأعتى وأنكى من الغربة التي عاناها في مُغتربه! فأدرك من سلبيات الغربة ما لا يُدركُه سواه!)

عجبـــــتُ ، ورجّ فـــــؤادي العجـــــبْ ... فيـــا ليـــت أنـــيَ لـــم أغتـــربْ!

عقـــــودي الثلاثـــــة فـــــي غربتـــــي ... دهـــتْ عزمتـــي بـــالأذي والنصـــب

وذقـــــتُ الأمَـــــرّين مِـــــن صُـــــحبتي ... فيـــا ليتنـــي العِيـــرَ لـــم أصـــطحب

وجَرّعنـــــي الضـــــنكَ مِـــــن بعـــــدهم ... أنـــــاسٌ لئـــــامٌ لهـــــم أنتســـــب

وفتشـــتُ فـــي القـــوم عـــن مُحســـن ... يُزيـــلُ عـــن القلـــب هـــذي الكُـــرب

ويحمـــــلُ عنـــــي همومـــــاً طغـــــتْ ... ويرفـــــعُ عـــــن كـــــاهليّ الـــــوَدَب

ويســـــتغرقُ الوقـــــت فـــــي خِـــــدمتي ... وعنـــــد المليـــــك الجـــــزا يحتســـــب

وجُـــــرحُ القرابـــــة مُستأصِـــــلٌ ... ويعصـــــمُ منـــــه الهُـــــدى والأدب!

وأهْـــــوَن منـــــه جـــــراحُ العِـــــدا ... وإن بقيـــــتْ فتـــــرة تلتهـــــب!

فلـــــم ألـــــق فـــــي غربتـــــي مُحســـــناً ... فواجهـــــتُ وحـــــدي صُـــــنوفَ النـــــوب

وطالـــــتْ علـــــيّ سِـــــنيّ الـــــبلا ... كـــــأني بهـــــا أصـــــبحتْ كالحقـــــب

ودرّسْـــــتُ قومـــــاً فمـــــا عُلّمـــــوا ... وفـــــيهم خطبـــــتُ مُبـــــينَ الخطـــــب!

فهـــــل كنـــــتُ أنفـــــخ فـــــي قِربـــــة ... وقـــــد مُزقـــــتْ مثـــــلَ بـــــاقي القِـــــرب؟

وصـــــاحبتُ قومـــــاً ، ولـــــم يُخلصـــــوا! ... وصُـــــحبة أهـــــل الوفـــــا تُطلـــــب

ولكـــــنْ شَـــــرقتُ بمجموعـــــةٍ ... إذا رُمـــــتَ خُلـــــتهم تُنتهَـــــب

وإنْ رُمـــــتَ إصـــــلاحَهم أفســـــدوا ... وإن رُمـــــتَ إســـــعادَهم تكتئـــــب

يمينـــــاً تألمـــــتُ فـــــي غربتـــــي ... وعيشـــــي بآلامهـــــا يختضـــــب

وربيـــــتُ جـــــيلاً ، فهـــــل برّنـــــي؟ ... أم انســـــاقَ يصـــــنعُ مـــــا لا يجـــــب؟

فلمـــــا رجعـــــتُ إلــــى قريتـــــي ... وجـــدتُ الحيـــاة بهـــا تضـــطرب

علــــى هــــامش العـــيش ألفيتنـــي ... وأغلـــبُ صَـــحبي بجـــوف الثُـــرَب!

علـــــيهم مِـــــن الله رضـــــوانُه ... بمـــا قـــدّموا مِـــن عظـــيم القُـــرَب

وأهـــل الشِـــمات بـــدا ســـعدُهم ... وجـــاؤوا علـــيّ كجـــيش لجـــب

وأمســـيتُ أجتـــرّ خطبـــاً عتـــى ... وللخطـــب كـــان علـــيّ الغلـــب

فخـــارج داري طغـــتْ غربتـــي ... وقاســـيتُ قهـــراً علـــيّ كُتِـــب

وداخـــل داري قضـــتْ غربتـــي ... علـــيّ بـــأن أصـــبح المغتـــرب

وهـــل بـــين أهـــل تُـــرى غربـــةٌ؟ ... ومِـــن ذاك أعجـــب كـــل العجـــب!

فيـــا رب خفـــفْ لظـــى غربتـــي ... لـــديك إلهـــي جميـــعُ الحِسَـــب

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (أهكذا يعامل الشقيق يا هؤلاء؟)

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
1	الثعبان	المجتث	خطبي	4
2	فأين حق الجوار؟	الرمل	سرائرُ	6
3	اختلاف	السريع	القيمِ	8
4	أخوتان	البسيط	عقلوا	10
5	الأخوة الزائفة (سداسيات شعرية)	الرمل	قافية منوعة	19
6	الأشقاء الأعداء	الرمل	الكذبُ	23
7	الرجولة الموءودة	الخفيف	رسولُ	27
8	دمعة	الخفيف	حقا	30
9	شقيقان فرقهما الهوى	الرمل	عذبا	32
10	صدق الأخوة	المنسرح	تقتبسُ	38
11	لا تبكِ يا من كنت شقيقي	البسيط	يمتدُ	41
12	لا ، يا من كنت شقيقي	الكامل	بالألوانِ	43
13	الشقيقتان	الكامل	حياءُ	48
14	من أرشيف الغربة	الرمل	الملتقى	63
15	الحياة أخذ وعطاء	الطويل	ربي	65
16	مفاجأة انعكاس الحقائق	السريع	يختلفُ	68
17	دمعة	الخفيف	حقا	71
18	قد عرفتُ الطريق	الطويل	منفعة	73
19	فأين المعالي؟!	الكامل	كالإصباح	75
20	عند الله!	المتدارك	الأتقى	77
21	فأين الفضل إذن؟!	الكامل	الأتراحا	79
22	من سلبيات الغربة	المتقارب	لم أغتربْ	81

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (أهكذا يعامل الشقيق يا هؤلاء؟)

نبذة عن أحمد على سليمان عبد الرحيم

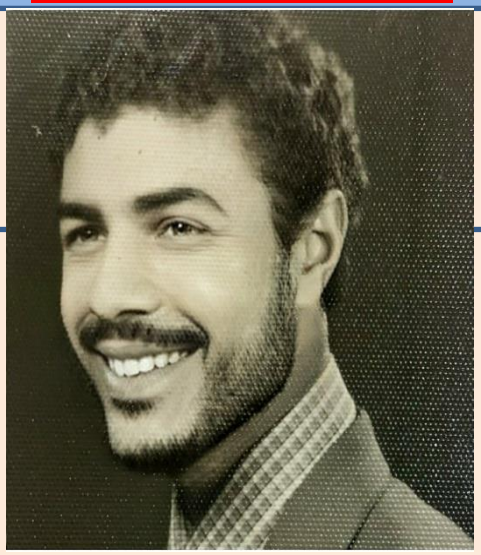

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض!

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق

34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والبطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
6 - Conversation Skills
7 - Correction Exercise (1-100)
8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
9 - Grammar Tasks (1-77)
10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)
13. Reorder Quizzes (1-34)
14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
15. Writing Practices (1-76)
16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
18. Raymond’s Run – Toni Bambara
19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!